مكارم

دورية فكرية محكَّمة تعنى بقضايا الأخلاق

منشورات المركز الدولي للقيم الإنسانية والتعاون الحضاري

لندن ـ المملكة المتحدة

العدد الأول - السنة الأولى يوليوز 2022 م

Published by: International Center for Human Values and Cultural Cooperation
127 Bray, Fellows Road. NW3 3JT London

عدد خاص:

مواد برنامج سفراء المكارم

(دورة ريان) 2022 م

التحديات الأخلاقية للبشرية — أ. د. علي محيي الدين القره داغي

فلسفة المشترك الإنساني — أ. د. أحمد الفراك

ثقافة اللاعنف — أ. د. مويسيس ماطو

في هذا العدد:

ورشة خاصة

العمل الخيري

مع د هاني البنا

مجلة مكارم
تصدر عن المركز الدولي للقيم الإنسانية والتعاون الحضاري-لندن
العدد الأول: عدد خاص (مواد برنامج سفراء المكارم)

المدير المسؤول: عبد المنعم الحارثي
رئيس التحرير: فؤاد بلمودن
سكرتير التحرير: لخضر حمادي

هيئة التحرير
الدكتور جمال الدين ناسك
الدكتور إدريس أبوزيد
الدكتورة حياة الكرماط
الدكتورة صباح العمراني
الأستاذة حنان الركيك
الدكتور عبد الفتاح صنيبي

دورية فكرية محكَّمة تعنى بقضايا الأخلاق
تصدر عن:
المركز الدولي للقيم الإنسانية والتعاون الحضاري

العدد الأول - السنة الأولى - يوليوز 2022 م

من أجل عالم إنساني متراحم

مواد برنامج سفراء المكارم

دورة ريان

التحديات الأخلاقية للبشرية: أخلاق السلم والرحمة والتعاون أنموذجا وفق فقه الميزان ص 10
أ.د علي محيي الدين القره داغي

فلسفة المشترك الإنساني ص 19
أ.د أحمد الفراك

ثقافة اللاعنف ص 30
د . مويسيس ماطو

ورشة خاصة: العمل الخيري ص 37
د هاني البنا

ورشة الكتابة ص 42
ذ داوود حسن

ورشة السمعي البصري ص 45
د خالد الجبلي

ورشة الفن ص 52
الفنان يحيى حوى

١. كلمة السيد رئيس المركز الدولي للقيم الإنسانية والتعاون الحضاري

ذ محمد حمداوي

رئيس المركز الدولي للقيم الإنسانية والتعاون الحضاري

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على صاحب الخلق العظيم سيدنا محمد وعلى آله وصحبه معشر السادة والسيدات، السلام عليكم ورحمة الله، ومرحبا بكم في هذه المائدة الخلقية المسهمة في تعزيز بناء المروءة والأخلاق في الأمة وفي العالم بما ينفع الإنسان كل إنسان،

«الأخلاق في تصورنا وفي منهجنا ليست تحسينيات فقط أو مكملات وإنما ننظر إليها باعتبارها أساسيات في المروءة الإنسانية وفي منطق الإيمان باعتبارها أسسا بانية لمروءة الإنسان»،

ولإيمان المؤمن الذي لا يكمل إلا بالتحلي بالأخلاق الفاضلة والتخلي عن الأخلاق السيئة، ويمكن تعريف الأخلاق بشكل مركز بأنها: صفات قلبية ونفسية وعملية إما فطرية أو مكتسبة قابلة للنماء تتحلى ولتزكى بها النفس عن طريق التربية والصحبة والقدوة والتعلم والتوجيه، ويكون لها الأثر البالغ في السلوك، وقد تكون أخلاقا حسنة طبعا كما يمكن أن تكون أخلاقا سيئة لهذا فإنها مطلقة وليست نسبية، ولا نتفق إطلاقا مع من جمعها مع الظواهر الذوقية والأدبية، ومع العادات والأعراف والتقاليد الاجتماعية، القابلة للتنوع والتغير إما عموديا عبر الزمن، أو أفقيا عبر المجالات الجغرافية المختلفة، طبعا مع الإقرار بكل خير تو افق مع الأخلاق الحسنة من هذه الأصناف كلها. ولا يملك أحد أن يفرض علينا منهجه ورؤيته للحياة ومنزلة الأخلاق فيها..

«الأخلاق هي صفات قلبية ونفسية وعملية إما فطرية أو مكتسبة قابلة للنماء»

كما أننا نحترم اختيارات الغير في مجالات المروءة الإنسانية النافعة للبشرية وللقيم المفيدة للتعايش المشترك بين الحضارات.

لدى فإننا نعتبر أن الأخلاق؛ حقائق في ذاتها وهي ثابتة مادام نظام الخير والشر مستمرا وثابتا فوق هذه الأرض، وهي ضمن المفاهيم التي لا يجري عليها التغير من وطن إلى وطن ولا من زمان إلى زمان إن حسنها حسن في كل زمان وقبيحها قبيح في كل زمان ولا يؤثر على حقيقتها أن يتواطأ البعض على تقبيح الحسن منها أو تحسين القبيح منها، تأثرا بالهوى أو بالشهوات أو بالتقاليد والأعراف السيئة، لهذا جمع مصطلح البر باعتباره كلمة جامعة لأعمال الخير حسن الخلق كله كما جاء في الحديث الصحيح للنبي صلى الله عليه وسلم « البر حسن الخلق والإثم ما حاك في صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس» تناسقا مع المهمة النبوية الشريفة في الحديث الصحيح الذي قال في النبي صلى الله عليه وسلم « إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق وفي رواية صحيحة أخرى «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» ولذلك جعل المعيار أساس الأفضلية بين المؤمنين هو الخلق الحسن كما جاء في الحديث الصحيح « أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا وخياركم خياركم لنسائهم خلقا».

وبناء على هذه اللبنات

يسرنا في المركز الدولي للقيم الإنسانة والتعاون الحضاري أن ننجز بشراكة مع جمعية مكارم للأخلاق والقيم، هذه الدورة التدريبية التأهيلية «سفراء المكارم» تحت شعار «من أجل عالم إنسانية متراحم»

الهادفة إلى تمثل ونشر قيم السلم والرحمة والتعاون مشيدا بمستوى التعاون الرفيع بين فريقي المركز والجمعية في كل مراحل الإعداد لهذه الدورة التي أطلقنا عليها اسم «ريان «رحمه الله استلهاما لأخلاق وقيم التراحم والتعاون التي جمعت العالم حول هذه الحادة الأليمة، والتي من المفروض ألا تكون موسمية أو خاضعة لمنطق الإثارة الإعلامية، وتلتفت إلى المعاناة اليومية المستمرة ملايين الأطفال ومنهم أطفال فلسطين والمشردين في كل مكان.

إن المركز الدولي للقيم الإنسانية والتعاون الحضاري يعمل من أجل الإسهام في بناء عالم يحترم القيم الإنسانية، ويقدرها من خلال تفعيل سبل الحوار والتعاون الحضاري لقد كان من دعاء

الرسول صلى الله عليه وسلم «اللهم اهديني لأحسن الأخلاق فإنه لا يهدي لأحسنها إلا أنت واصرف عني سيئها فإنه لا يصرف عني سيئها إلا أنت» ونحن أيضا على أثره ندعو اللهم اهدنا لأحسن الأخلاق فإنه لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عنا سيئها فإنه لا يصرف عنا سيئها إلا أنت، وختاما أتوجه بالشكر الجزيل للفريق المشرف على هذه الدورة ولكل الأخوة والأخوات المشاركين، وترجو كامل التوفيق والنجاح لكل فقراتها. والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

ذة وديان البخاري

عن مكتب الجمعية المغربية مكارم للأخلاق والقيم

٢. كلمة الجمعية المغربية مكارم للأخلاق والقيم

بسم الله الرحمن الرحيم و صلى الله و سلم على خير خلق الله أجمعين سيدنا محمد الذي قال « انما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق « ،و على اله و صحبه أجمعين.

إخواني أخواتي في مختلف بقاع العالم ، نلتقي اليوم في هذا الحدث الهام ، و هذا المشروع القيم ،مشروع سفراء المكارم ،من إعداد المركز الدولي للقيم الإنسانية والتعاون الحضاري بشراكة مع جمعية مكارم للأخلاق و القيم ، و الذي يرمي إلى إعداد و تكوين فاعلين في مجال الأخلاق ،جامعين في رسالتهم بين الأسس النظرية و المهارات العملية البانية ،بتأطير من قامات علمية و فكرية و فنية بارزة .

مع توالي النكبات و تجاوز كل الحدود في هدم القيم و نشر مسببات الفساد ، أصبحنا نعيش في عالم موار تطغى فيه نحلة الغالب و تتلاشى فيه القيم الأخلاقية النبيلة.

و يقع حدث هنا و حدث هناك يرج الأرض رجا ، يوقظ البشرية و يحيي فيها فطرة الله التي فطر الناس عليها ،

« و يأتي حدث «ريان» هذا الطفل الذي سقط في غيابات الجب في قرية نائية بالمغرب مثيرا بسقوطه تضامنا واسعا»

وحد من خلاله اختلاف اللون و العرق و اللغة و الحيثية ،و بث رسائل أخلاقية عميقة ،ارتأينا أن نمتح منها و نبثها في برنامج هذه الدورة المخصصة لأخلاق و قيم السلم و الرحمة و التعاون تحت شعار «من أجل عالم إنساني متراحم »،و تحمل الدورة اسم «ريان».

فباسم جمعية مكارم للأخلاق و القيم و باسم جميع أعضائها و على رأسهم السيد الدكتورعبد الحكيم حجوجي رئيس الجمعية ،نرحب بالسادة المؤطرين الذين استجابوا لنداء سفراء المكارم رغم انشغالاتهم الوظيفية و الشخصية ،ونشكرهم على استجابة الدعوة .كما نرحب بكافة المنسقين و المشاركين في هذه الدورة كل باسمه ،سائلين المولى عزوجل أن يبارك هذه الجهود و أن ننهي هذه الدورة و نحن نمتلك جميعا همة و إرادة و أدوات تمكننا من أن نكون فاعلين متعاونين ،لنا تأثير في مجتمعاتنا من خلال بث و ترويج مكارم الأخلاق بشتى الوسائل التي نطمح ان نتقنها في نهاية هذه الدورة .و الحمد لله رب العالمين.

٣.كلمة السيد رئيس جمعية أمل للتنمية والعمل الاجتماعي بالسنغال

د محمد الأمين ديوب

رئيس جمعية أمل للتنمية والعمل الاجتماعي

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد

أحيي هذا الجمع المبارك من المشايخ الكرام أصحاب السعادة، والإخوة والأخوات الأفاضل المتواجدين معنا في هذه الجلسة الافتتاحية لانطلاقة هذه الأيام المباركات بإذن الله والتي ستكون بداية لمهمة إنسانية ارتضيناها لأنفسنا وهي أن نكون سفراء للمكارم، ناشرين لقيم السلم، معززين لمبادئ الرحمة والتعاون، مجسدين للأخلاق الفاضلة؛ ليعم الخير أرجاء المعمورة ويفيض في كل مكان، فنعيش في ظلّ عالم إنساني متراحم. إن الناظر إلى العالم وإلى ما يعيشه من أجواء مشحونة بالأنانية منزوعة منها الرحمة، تلعب أيادي في الخفاء أو في العلن لتطغى الأخلاق الفاسدة فتسود الكراهية سماءه، ويفسد البغضاء أرضه، ليدرك مدى أهمية هذا المشروع الجليل ومدى نبل مهمتنا كسفراء للمكارم نسعى لإعادة توازن العالم بقيمنا وأخلاقنا كي ينعم الإنسان بهذه الحياة ويؤدي دور الخلافة المنوطة به في إعمار الدنيا. و أيضا إيفاء للمرحوم ريان الذي استلهم الإنسانية معاني التراحم وقيم التضامن والمعايشة بسلام.

« إننا في جمعية أمل للتنمية والعمل الاجتماعي لنحيي هذه المبادرة الطيبة, ندعمها ونعلن استعدادنا التام لتأسيس آفاق عمل مشترك في هذا المجال بإذن الله»

وفي الختام أوجه خالص الشكروو افر التقديروالاحترام إلى المركز الدولي للقيم الإنسانية والتعاون الحضاري ببريطانيا وإلى السادة في جمعية مكارم للأخلاق والقيم والإخوة المشاركين سائلين الله العلي القدير أن يكتب لهذا المشروع النجاح وأن يكلأنا ويسدد خطانا.

٤. كلمة السيد رئيس مؤسسة الإحسان. ألبانيا

كوراب كايا

رئيس مؤسسة الإحسان ألبانيا

٥. كلمة السيدة رئيسة جمعية العماد للعمل الخيري. تونس

ورئيس جمعية مواطنة وتنمية مستدامة. تونس

المهندسة خديجة صالح

جمعية العماد للعمل الخيري تونس

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

بداية نشكر الإخوة الأفاضل لهذه الدورة المميزة بالذات المركز الدولي للقيم الإنسانية والتعاون الحضاري في بريطانيا وجمعية مكارم الأخلاق والقيم في المغرب.

وحقيقة مثل هذه الدورات نحن بحاجة إليها كلنا

قيم السلم والرحمة والتعاون ما تنقص العالم اليوم وهو ما يحتاجه العالم اليوم.

نحن كمؤسسة خيرية اهتمامنا بالأيتام أكثر ودورنا الأهم والضروري واهتمامنا الكبيرغير المساعدة المادية التي نقدمها للأيتام ينبغي علينا أن يكون أيضا اهتمام كبيرفي الجانب النفسي والروحي وينبغي علينا أن نعمل ليس فقط مع الأيتام ولكن مع المجتمع كل المجتمع سواء في ألبانيا أوالعالم لغرس هذه القيم: الرحمة والسلم والتعاون حتى يكون عالما أفضل وأحسن والحروب والنزاعات والمشاكل فيه أقل.

جزاكم الله خيرا

وإن شاء الله في هذه الدورة المميزة نستفيد من وجود العلماء الكباروالدكاترة ومن تبادل الخبرات من الإخوة والأخوات وشكرا على هذه االدورة المميزة

رئيس مؤسسة الإحسان في ألبانيا

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد الصادق الأمين المبعوث رحمة للعالمين.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته،

باسمي وباسم رئيسة جمعية العماد للعمل الخيري وباسم رئيس جمعية مواطنة وتنمية مستدامة بولاية قبلي بالجنوب التونسي،

أتقدم بالشكروالتقدير للمركز الدولي للقيم الإنسانية والتعاون الحضاري وللجمعية المغربية مكارم للأخلاق والقيم و لكل المساهمين في هذا العمل الإنساني المتميز (البرنامج التكويني التدريبي «سفراء المكارم» دورة ريان ٢٠٢٢) متمنين لكم جميعا النجاح والتوفيق في بلوغ أهداف هذا المشروع الحضاري ولهذه الدورة المخصصة لقيم السلم والرحمة والتعاون تحت شعار «من أجل عالم انساني متراحم».

» ما أحوج عالمنا اليوم إلى هذه القيم الإنسانية المرتكزة على الفضيلة والأخلاق الكريمة, الأخلاق الكونية الربانية بعيدا عن فوضى القيم الكونية التي يتنادى بها أعداء الفطرة الإنسانية«.

لا يخفى عنكم أيها السادة الكرام أهمية الأخلاق في بناء المجتمعات وتطورها وازدهارها، فرسولنا صلى الله عليه وسلم يقول:» إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق«

فالأخلاق السمحة والقيم النبيلة هي أساس العمل المشترك ومنطلق الإعمار في الأرض، هذه الوظيفة التي من أجلها خلق

الإنسان، وبغياب القيم والأخلاق يحل الدمار ويتنشر الفقر والجوع ويسهم في اختلال التوازن النفسي والبيئي.

علينا أن ندرك جميعا بأنه لا تنمية ولا تنمية مستدامة في غياب الأخلاق والقيم. فلنعمل جميعا من أجل العيش المشترك بعيدا عن الحروب والتقاتل واضعين نصب أعيننا قولة سيدنا علي ابن أبي طالب رضي الله عنه و أرضاه «الناس صنفان اما أخ لك في الدين أونضيرلك في الخلق»

وفي الأخير أعبر عن دعم جمعيتي «العماد للعمل الخيري» و «مواطنة وتنمية مستدامة» لهذا العمل القيم متمنين أن يكون لنا عمل مستقبلي مشترك لدعم الأخلاق والقيم النبيلة لأجل إعادة مجتمعاتنا إلى مسار الحضارة الإنسانية والرقي المجتمعي.

٦. كلمة السيد رئيس مؤسسة التعاون. غامبيا

د محمد الأمين سيلا

رئيس مؤسسة التعاون. غامبيا

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.

أما بعد:

باسمي وباسم مؤسسة التعاون في غامبيا نتوجه بالشكر الجزيل إلى المركز الدولي للقيم الإنسانية والتعاون الدولي على حسن تنظيمه الدقيق لهذه الندوة التي جاءت في وقت تحتاج المجتمعات البشرية إلى قيم السلام والوئام والمحبة والتعاون والتآزر للعيش المشترك مع الآخر.

ولذا نرجو من المركز الدولي تكرار مثل هذه الندوات ورشات عملها لدى الفئات السبابية لمسب الخبرات والمهارات.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

٧. كلمة السيدة رئيسة جمعية آلاء للتنمية الأسرية الجزائر

لطيفة لعرجوم

رئيسة جمعية آلاء للتنمية الأسرية. الجزائر

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على رسوله الكريم

الشكر موصول للمركز الدولي للقيم الانسانية والتعاون الحضاري وجمعية مكارم للأخلاق و القيم و لكل من ساهم في اعداد مشروع سفراء المكارم ودورة «ريان» ٢٠٢٢ المخصصة لقيم السلم و الرحمة و التعاون و بعد:

في ظل التحولات الكبرى التي تعيشها البشرية شهدت العلاقات الاجتماعية و الإنسانية تغيير كبير في مفهوم القرابة و التسامح و التعايش حيث صارت تنبني على أنماط فكرية جديدة تحت تأثير ترسانة أشد فتكا من الترسانة العسكرية، تتمثل في تكنولوجيا الاعلام و الاتصال التي استغلت في ترسيخ الغزو الثقافي و اجتثاث الاخلاق و القيم من أعماق الشعوب دون أي تحصين أمام برمجة أذهان الشباب خاصة و محاولة تحطيم الأسرة بدعم نخب وقوى نافذة توجه عن بعد.

ولعل أكبر الكوارث و الانتهاكات و الدمار و الفساد عبر التاريخ و الى يومنا هذا سببها أزمة قيم و أخلاق، إذ بدونها يكون مجتمع البشر أشبه بالغابة.

من هذا المنطلق كان اهتمام الاسلام بها اهتماما بالغا بهدف تحقيق أمن واستقرار المجتمعات و باعتبارها صمام أمان في ضبط سلوك الأفراد و علاقاتهم.

«وبما أن الأسرة هي المحضن الأول للإسهام في تنشئة الفرد، فيقع على عاتقها مسؤولية غرس القيم و ترسيخ الأخلاق التي تصون سلوكه و تنمي مهاراته و معارفه»،

فاذا كان الفرد هو اللبنة الأساسية في بناء المجتمع، فانّ الأسرة هي الخلية الحية في كيانه والفرد جزء منها، حيث يأخذ خصائصه الأولى و قيمه لقوله تعالى « ذرية بعضها من بعض »، و الأسرة المسلمة تستقي قيمها من الاسلام وتشريعاته وآدابه لذلك أولاها أهمية بالغة من العناية و الاهتمام باعتبارها نواة المجتمع و قاعدته الأساسية و محضن القيم و الأخلاق.

وأمام هذا الافتقار الانساني القيمي للحياة الاجتماعية يأتي هذا المشروع ليكون اضافة ايجابية لنشر قيم السلم و التعاون و التراحم و مكارم الأخلاق لقوله تعالى « يا أيها الذين آمنوا أدخلوا في السّلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين » و قوله . صلى الله عليه وسلم . « إنّما بعثت لأتمّم مكارم الأخلاق »، وهذا يعد من صميم أهدافنا في جمعية آلاء للتنمية الأسرية و نعمل على تجسيده من خلال مناشط عدّة فرؤيتنا في ذلك « بناء أسري متماسك في ظل مجتمع راقي و آمن »، ورسالتنا « الاسهام الايجابي في تحقيق استقرار الأسرة و تأهيلها للقيام بوظائفها الاجتماعية و التنموية في ظل القيم الانسانية النبيلة »

لنتعاون جميعا على تحقيق هذا المبتغى « و في ذلك فليتنافس المتنافسون « والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

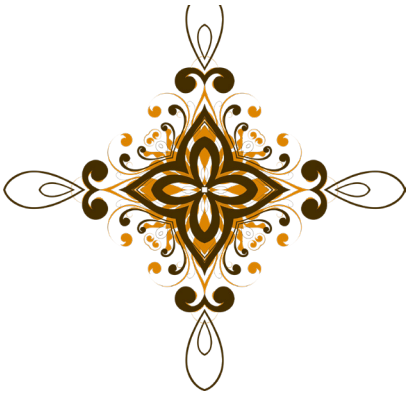

التحديات الأخلاقية للبشرية
أخلاق السلم والرحمة والتعاون وفق فقه الميزان

أ.د علي القره داغي . قطر
عضو مؤسس هيئة الرحمة الإنسانية بإسكندنافيا
مؤسس مركز القره داغي للسلم والتنمية البشرية

إن هذا العنوان يستحق أن نعمل له عدة ندوات وحلقات لأنه قضية عالمية، ومشاكل العالم اليوم حتى عند الخبراء الاجتماعيين والاقتصاديين وحتى السياسيين هي: مشكلة الأخلاق، حينما حدثت الأزمة المالية العالمية في ٢٠٠٨م نطق به كبار الاقتصاديين وعلماء السياسة والاجتماع، فالقضية إذن ليست قضية إسلامية محضة، أو قضية تخص العالم العربي و الإسلامي، إنما هي قضية عالمية، يقول عالم النفس الأمريكي روبرت ستيرنبرغ[1]: «لقد أنتجنا عقولا كثيرة مبدعة خلاقة، لكن هذه العقول كانت وراء الانهيار الكبير للاقتصاد الذي حدث إبان الأزمة العالمية الثانية، لقد اهتممنا بتنشئة العقول، ولم نهتم بتنمية التفكير الأخلاقي، فكانت النتيجة أن استغل هؤلاء ذكاءهم و مواهبهم لصالحهم الشخصي على حساب الصالح العام»، ومثال ذلك ما حصل لبنك ليمان برادرز الذي يعتبر البداية لما يسمى بالفقاعة العقارية أو الرهون العقارية، كانت الإدارة التنفيذية قدمت ميزانية عام ٢٠٠٧م، (أي مباشرة قبل الأزمة) لأن البنك قد ربح مئات المليارات لأنه من أكبر البنوك في العالم، و مع ذلك كان البنك في انهيار وحتى حصلت هذه الإدارة التنفيذية على مكافأة مقدرة ب ٥٠٠ مليون دولار لفريق العمل، وإذا بهذا البنك ينهار بعد شهرين أو ثلاثة أشهر وهكذا، ويقول عالم الاجتماع الأمريكي البروفيسور غاردنر[2] وهو صاحب كتاب (العقول الخمسة) «الناس يهتمون بالعقل الاستراتيجي، وبالعقل الإداري، وبالعقل الاقتصادي»، وقال: «فوق هذه العقول هناك عقل أهملناه وهو: العقل الأخلاقي»، وقال: «إن أهم ما يميز العقل الأخلاقي هو المسؤولية الاجتماعية، وادراك الفرد لمسؤولياته تجاه الاخرين، وسعيه للصالح العام».

١ عالم نفس أمريكي اشتهر بنظرياته في الحب والذكاء والابداع، ولد في نيو جيرسي في ٩ ديسمبر ١٩٤٩م

٢ هوارد غاردنر، ولد بنسلفانيا في الولايات المتحدة الأمريكية، عام ١٩٤٣م، من أشهر نظرياته: «نظرية الذكاءات المتعددة»، وكتابه «خمسة عقول من أجل المستقبل» يقدم فيه أنواع العقول والقدرات العقلية التي يجب اكتسابها وتطويرها، وهذه العقول هي: العقل المتخصص، والعقل التركيبي، والعقل الإبداعي، والعقل المحترِم، والعقل الأخلاقي.

إن القضية اليوم أنه كلما تقدمت العلوم في المجالات المتنوعة (المجالات الطبية، والتقنية، والاتصالات، والتواصل الاجتماعي) كلما تعقدت قضايا الأخلاق، وأصبحت فيها من المخاطر والسلبيات الكثير والكثير، لأن هؤلاء مع الأسف الشديد لا يهتمون بهذه الاخلاقيات؛ التي على أقل التقدير تحقق الأمن النفسي للإنسان، وقبل الحديث عن أهمية الأخلاق في الإسلام، سأتحدث عن التحديات الكبيرة التي نواجهها اليوم.

التحدي الأول: الإلحاد

من أكبر التحديات التي نواجهها اليوم؛ الإلحاد، هذا التحدي الذي يشجّع له الكثيرون، يحطم الأخلاق من أساسها، وإن كان هؤلاء الملحدون (إن صح التعبير) يقولون بأننا أمام نوعين من الأخلاق: الأخلاق العملية، والأخلاق الدينية، ويقولون نحن لا ننكر أهمية الأخلاق العملية، وإنما لا تهمنا الأخلاق الدينية، لكن الأخلاق بصورة عامة منبعها وأساسها الدين والداخل (النفس/ الروح) و هذا الداخل مرتبط بالله سبحانه و تعالى، ولذلك جميع الأحكام الشرعية وجميع العبادات المحضة والشعائر والأذكار كلها لتقوية هذا الداخل وتحقيق التقوى؛ التي هي الأساس للالتزام بالأخلاق، فإذا نجح هؤلاء في تأسيس الإلحاد، وخاصة بين الشباب كما يحاولون، فإن العالم سيسير نحو الأسوأ بشكل واضح. لذلك تأتي هنا العلاقة بين هذه القضية وبقية القضايا الأخرى ارسال الرسول الله صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ) (الأنبياء: ١٠٧) وهذه الرحمة حقيقة لا تكون للعالمين أجمع، (أي للمسلمين وغير المسلمين، وللحيوانات، وللجمادات)، إلا من خلال هذه الأخلاق التي تشمل كل هذه الجوانب، لأن الأحكام الشرعية لا تشمل إلا من يؤمن بها، أما الأخلاق فهي تشمل الجميع، وإنني أتذكر حينما قابلت وزيرة الاقتصاد الفرنسي حول الأزمة المالية العالمية، وكانت تريد أن تستفيد من الاقتصاد الإسلامي والصيرفة الإسلامية، فقالت لي يا بروفيسور علي هل إذا أخذنا نحن بالاقتصاد الإسلامي أننا أسلمنا؟ قلت لا، الاقتصاد الإسلامي أنتم تأخذون بالجانب الأخلاقي، كما أنكم أيضا تأخذون بالمبادئ العشرة التي شرحتها لها.

التحدي الثاني: الأسرة

العالم اليوم مع الأسف الشديد يجري بخطى ثابتة وبتشريعات وبقوانين وبكل الوسائل، لجعل الأسرة تنهار، وأخلاقيات الأسرة تباد من أساسها، من خلال تشريع اتفاقيات سيداو التي وضعت في الأمم المتحدة ووافقت عليها معظم الدول، وحتى الدول الإسلامية وافقت عليها ماعدا دولتين[٣] مع الأسف الشديد، و هذه الاتفاقية إذا طبقت عمليا فلا يبقى شيء من الأسرة، وإنما تتحول إلى ما يسمونه الأسرة النووية[٤]، التي ستكون بديلا عن الأسرة المتماسكة؛ الأسرة الإنسانية التي هي المحضن للأخلاق، هذا في اعتقادي التحدي الذي يمس أخلاقيات الأسرة من خلال الشذوذ والمثلية، ومن خلال إزالة الفوارق الطبيعية بين الجنسين، هذه الأمور في اعتقادي يجب أن لا نستحي من ذكرها، بعض الاخوة يخافون من ذكر قضية المثلية في الغرب، وأنا أرى أنه علينا نحن أن نبين لهم مخاطر هذه المسألة، وأن الحل ليس فيما يطرحونه في هذا الجانب، فرضا لو انتشرت قضية المثلية هل يبقى للعالم وجود؟ الوجود إنما يتحقق بهذه الزوجية، فالكون كله قائم على الزوج الانسان، هذا ما أثبته العلم الحديث فكل شيء في هذا الكون، وكل ذرة من ذرات الكون حتى القنبلة الذرية قائمة على الزوجية، على السالب والموجب، وعلى الذكر والأنثى بالنسبة للحيوانات، لذلك رب العالمين أنزل شريعة قائمة على الجناحين، على الكفتين، لهذا الإنسان يتكون كذلك من هذين الجناحين، و الأرض كذلك أيضا قائمة على هذه الزوجية، (سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لا يَعْلَمُونَ) (يس: ٣٦)، ولذلك الحل على سبيل المثال هو في أخلاقية التوازن وليس في المساواة، فالحل في قضية الأسرة هو التوازن والتكامل، هذه الكفة تكمل الكفة الأخرى، كما أن الطائر يطير بجناحيه، فالأسرة والمجتمع يطير كذلك بجناحيه؛ الذكر و الأنثى، وكل واحد يكمل الآخر، وكما أن الذكر ليس مثل الأنثى، كذلك الأنثى ليست مثل الذكر، حيث خلق الله سبحانه وتعالى الإنسان من كروموسومين، من ثلاثة وعشرون كروموسوم، كل واحد يتكون من كروموسومين، أي ٤٦ كروموسوم، هذه الكروموسومات هي التي تتكون منها الزوجية؛ الذكر والأنثى، وكل الكروموسومات زوجية لا يمكن أن تكون فردية، المرأة من البداية مكونة من إكس إكس، بينما الذكر مكون من اكس واي، هذا ما يقوله الأطباء، وهذا لا يختلف فيه اثنان، هذا ليس من باب التفاضل، فليس هناك تفاضل وإنما هناك تكامل، فهذه النظرية الشفعية؛ نظرية الميزان التي تقوم على هتين الكفتين، أو على هذين الجناحين،

» لذلك قضية الأسرة حقيقة من أكبر التحديات التي تواجهنا وبخاصة في الغرب، وإذا لم نستطع ولم تكن لنا الجرأة في أن نجلس مع العقلاء مع الخبراء، لا أعتقد أننا حققنا أدينا واجبنا «

٣ إيران والسودان والصومال

٤ الأسرة النووية، أو الأسرة النواة هي السرة المتكونة من الزوجين والبناء فقط، ولا تشمل أي أقارب آخرين.

فمن أهم واجباتنا نحو الغرب أن نبين لهم ما ينفعهم في دنياهم وفي آخرتهم كذلك.

التحدي الثالث: التعليم

التعليم من أهم التحديات الكبرى التي أشار إليها القرآن الكريم في أول سورة نزلت؛ التحديات العلمية، والتحديات التقنية، والتحديات الطبية التي خرجت من دائرة الأخلاق، وإذا خرجت هذه التقنيات العلمية فعلا من دائرة الأخلاق ستؤدي كما قال هؤلاء الفلاسفة إلى انهيار العالم وتحطمه تماما، وخلال السنتين الأخيرتين اكشف العالم أنه أمام أزمة خطيرة من حيث التغير المناخي الخطير، لقد رأينا العام الماضي عام ٢٠٢١م كوارث طبيعية: سيول وحرائق وأشياء كثيرة جدا، لأن الأخلاق لم تستعمل في العلوم، ولم يهتم الغرب الرأسمالي والشرق اللاديني كذلك بالجانب الأخلاقي، ولم يولوا له أية عناية، ليس مع المسلمين فقط، بل مع الكون كله، كان همهم الوحيد تعظيم الأرباح، وتحقيق الرفاهية، كما قال الاقتصاديون الغربيون: الغاية الأساسية والدافع الأساسي لإدارة الثروة، ولإدارة الأموال، وحتى القضايا العلمية، تحقيق الرفاهية للفرد، وبالنسبة في القضايا العلمية، لماذا؟ لأن هذه الأمة التي أنزل الله تعالى عليها القرآن الكريم هي أمة الشهود هي الأمة التي تشهد على العالم وتقول هذا خطأ وهذا صواب، لأنها لديها وثيقة ثابتة وهي القرآن الكريم، الذي أنزله الله على حبيبه المصطفى صلى الله عليه وسلم، بالإضافة إلى الجانب العقلي والفطري، وهنا تأتي الآية الكريمة وتبين لنا العمليات الأخلاقية في قراءتنا للكون، وفي قراءتنا للإنسان، وفي قراءتنا للكتب، وفي تحصلينا لكل شيء، فيقول الله تعالى: (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ) (العلق: ١)، والذين قيدوا القراءة هنا بالقرآن لم يكونوا دقيقين لأن القرآن لم ينزل بعد، إنما المقصود هو المنهاج، منهاج هذه الأمة فقال: (لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا) (المائدة: ١١٥)، لنا منهاج محدد بينه الله سبحانه وتعالى من أول سورة منهاج، وهي: أن تقرأ الكون والإنسان قراءة شاملة، لكن بكفتين؛ الكفة الأولى في ظلال الأخلاق والربوبية (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ)، والكفة الثانية في ظلال الكرامة الإنسانية، وحقوق الانسان، (اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ) (العلق: ٣)، لأنه في ظل عدم وجود الربوبية والأخلاق والعقيدة والإيمان بالله سيطغى العلم كما نراه اليوم. وفي ظل عدم وجود كرامة الإنسان، سيذل الإنسان الذي خلقه الله لتعمير

للدولة تحقيق الهيمنة الاستعمارية من خلال العلوم، فبعلومهم وقدراتهم احتلوا العالم الإسلامي والعالم الآخر، وأدى ذلك إلى عدم إعطاء أي قيمة للأخلاق. مما جعل العالم أمام إشكالية كبيرة يحس بها اليوم، ويصرف كما وجدنا في مؤتمر المناخ في فرنسا مئات المليارات، ولكن أعتقد أنه فاتهم الكثير، فالعالم اليوم يسير بخطى ثابتة إلى ازدياد نسبة الحرارة، ربما تصل في سنة ٢٠٥٠م إلى أن تزيد بنسبة ٢,٥، وحينئذ يكون انهيار كبير جدا لهذا العالم، لذلك القرآن الكريم في أول آية نزلت، يضع لنا المنهجية الأخلاقية الكون، بهاتين الكفتين وفق فقه الميزان تتحقق القراءة الصحيحة، التي تحقق فعلا الحضارة المعتدلة والرفاهية مع الحفاظ على البيئة والإنسان والحيوان.

كانت القراءات السابقة تدور على احدى القراءتين إما قراءة لحظية مادية كما لدى الفلاسفة، أو كانت قراءة دينية محضة كما لدى بقية الأديان السماوية أو حتى الأرضية، فجاء الإسلام لتصحيح النظام التعليمي والتقني والابداعي، وربطه بهاتين الكفتين

أو الجناحين، لذلك حينما فقدنا نحن في العالم الإسلامي هذه القراءة الشاملة سبقتنا إليها الدول الأخرى، وبالتالي فقدنا اليوم دور الشهود الحضاري، وإذا أردنا أن نعيد الكَرّة والأخلاق إلى مجالها الحقيقي، علينا أن نعلم الناس بأن فلاحهم ونجاحهم، والرفاهية الحقيقة تكمن في هاتين الكفتين، ونحن بالإضافة إلى هذه التحديات الثلاثة وخاصة التحدي العلمي، وما يتفرع منه من التحديات العلمية والطبية وخاصة في علم الجينات، وفي الدراسة الوراثية، والاستنساخ، والعلم البيولوجي، وخاصة الأسلحة البيولوجية، والذرية، والدمار الشامل، كل ذلك يدور حول هذه القضية، لأن الغرب كما أراد الهيمنة على مستوى المجتمع والدولة، أراد بالنسبة للأفراد الرفاهية على حساب الآخرين، كما قال روجيه جارودي[٥] في كتاب حوار الحضارات: «بأن الغرب استطاع أن يأخذ خيرات ثلاث قرات: أسيا وأفريقيا وأمريكا الجنوبية، وبنى على هذه الخيرات حضارتها التي وصلت الى هذا التقدم».

« وعندنا تحديات التربية الأخلاقية في الغرب، ومدارسنا الإسلامية مع الأسف الشديد لا تولي العناية بهذه التربية الأساسية »

وقد جمع الله تعالى للحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم هذه التربية الشاملة العظيمة فقال: (هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ) (الجمعة: ٢)، تلاوة الآيات لسمو الروح، لأن غذاء داخل الإنسان (الروح) مما هو منسجم معه، فالروح نفخة من الله تعالى مرتين: عندما خلق آدم (فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ) (الحجر: ٢٩)، وعندما يصل عمر الطفل إلى أربعة أشهر يأتي الملك فينفخ فيه هذه الروح التي هي من عند الله، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ مَلَكًا فَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ، وَيُقَالُ لَهُ: اكْتُبْ عَمَلَهُ، وَرِزْقَهُ، وَأَجَلَهُ، وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ الرُّوحُ»[٦]، وبالتالي عندما تعيش هذه الروح مع الآيات القرآنية تسمو ولا تكون ذليلة، ولا خانعة، ولا خاضعة، وإنما تعتمد على الله أولا، ثم على الأسباب ثانيا، لكن مشكلة في العالم الإسلامي اليوم أن الأرواح هابطة وذليلة، وليست في المستوى المطلوب، حتى العرب كانوا يعيشون على الفطرة كما يقولون، حينما يقول أحدهم[٧]:

إذا أظمأتك أكف اللئام *** كفتك القناعة عزا وفخرا

فكن رجلا رجله في الثرى*** وهامة همته في الثريا

فإن إراقة ماء الحياة *** دون إراقة ماء المحيا

وقد سمعنا وأنا سمعت بنفسي باللغة الإنجليزية ترامب يقول لأحد كبار المسؤولين في عالمنا الإسلامي كلاما لا يقال «أنه لو كذا لا تستطع أن تحمي طائرتك أو أقل من ذلك»، أنا شخصيا تألمت لهذا الكلام، لأنه مهما كان لا يجب أن يصل إلى هذا المستوى، (يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ) هنا أخلاقيات للتزكية، قضايا التربية الأخلاقية والتزكية للقلوب والنفوس، للقلوب حتى تكون سليمة، وللنفوس حتى تكون مطمئنة، ثم ينتقل في دور الرسول (وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ)، الكتاب هنا رمز للعلم، رمز لكل ما هو مكتوب ومقروء، يعلمهم الكتاب، جنس الكتاب وهو القراءة، والقراءة نوعان: قراءة في الكتب وقراءة في الكون،

« نحن عندنا قراءتان: قراءة الكون المفتوح، وقراءة الكتاب المقروء، لذلك (ويعلمهم الكتاب والحكمة) تعليم الكتاب والحكمة هذا الجانب العقلي والعلمي، يوجههم للأحسن »

فإذا تحققت هذه النتائج، الضلال الذي كان عند الجاهلية ينتهي، لذلك نحن بصراحة أمام مجموعة من التحديات التي لا بد أن نواجهها في كل مجالات الحياة.

---

٥ فيلسوف فرنسي ربته والدته على المسيحية الكاثوليكية، وكان ابوه ملحدا، بينما آمن هو بالإسلام، ولد يوم ١٧ يوليو ١٩١٣م بمدينة مارسيليا الفرنسية لأم كاثوليكية وأب ملحد، اعتنق البروتستانتية في الرابعة عشر من عمره، وفي العشرين من عمره تبنى الفكر الشيوعي التحق بالحزب الشيوعي الفرنسي وظل فيه إلى أن طرد منه سنة ١٩٧٠ بسبب انتقاده اللاذع للغزو السوفياتي لتشيكوسلوفاكيا سنة ١٩٦٨م، وفي ٢ يوليو ١٩٨٢م أعلن إسلامه، وصار واحدا من دعاة حوار الأديان.

٦ البخاري، الجامع الصحيح، كتاب بدء الخلق باب ذكر الملائكة رقم الحديث: ٣٢٠٨

٧ أبو الحسن النُّعَيْمي، علي بن أحمد بن الحسن بن محمد بن نعيم أبو الحسن البصري، المعروف بالنعيمي سكن بغداد، كتبتُ عنه، وكان حافظا عارفا متكلما شاعرا، مات النعيمي في يوم الإثنين مستهل ذي القعدة من سنة ثلاث وعشرين وأربع مائة (تاريخ بغداد للخطيب البغدادي).

الأخلاق في الإسلام وأهميتها

ما المطلوب منا وما الذي نستطيع أن نفعله؟

نحن لدينا إشكالية في المصطلحات فعلماؤنا السابقون درسوا الأخلاق باسم الآداب الشرعية، وهذا منهج أكاديمي صحيح، لكن كان له تأثير كبير، وهو فصل الأخلاق عن الكثير من الأشياء، وأنا أعتقد أن هذا تنقيص كبير جدا للأخلاق، فالأخلاق ليست مجرد آداب شرعية، فالأخلاق حقيقة هي الإسلام، والإسلام هو الأخلاق، ومع ذلك بعض علمائنا السابقين حينما يتحدثون مثلا عن مبطلات الصيام، يقولون إذا دخلت قطرة ماء في جوف الصائم بطل صومه، وإذا ارتكب ظلما كما في أحاديث صحيحة..

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالعَمَلَ بِهِ، فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ»[٨]، فليس الصيام أن يصوم الإنسان عن الأكل والشرب، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «رُبَّ صَائِمٍ حَظُّهُ مِنْ صِيَامِهِ الْجُوعُ وَالْعَطَشُ، وَرُبَّ قَائِمٍ حَظُّهُ مِنْ قِيَامِهِ السَّهَرُ»[٩].

أحاديث كثيرة في هذا المجال لم يولوا لها العناية الكاملة، وحينما نتكلم في العلوم أو في الفقه، وعندما نتكلم عن باب البيوع أو باب الإجارة نتكلم عن أركان العقل الستة مفصلا وثلاثة موجزة: العاقدان والمعقود عليه والصيغة أي (الايجاب والقبول)، وكذلك الثمن والمثمن والبائع والمشتري أي (المؤجر والمستأجر)، لكن قلما يتطرق الفقهاء إلى مسألة الغش في جعل العقد باطلا، أو على أقل شيء جعل العقد قابلا للإبطال، أو قابلا للخيار، حتى الغش ربطوه مع الأسف الشديد بالضرر والغبن، يعني لا يولون العناية القصوى، ونعتقد أنهم أرادوا أن تدرس الأخلاق من جانب، والجانب العملي والفقهي من جانب آخر، لأنهم حينما عرفوا الحكم قالوا خطاب الله المتعلق بأفعال المكلفين على سبيل الاقتضاء أو المنع أو التخيير، لكن أليست الأخلاق جزءا من هذه الأفعال، أنا في فقه الميزان أوليت عناية بها وقلت هذه كفة، وتلك كفة ثانية، الجانب المادي؛ العقول، هذا جانبه، ولكن الجانب الشرعي؛ الجانب الأخلاقي، هذا جانبه الثاني، نحن عندنا فرق بين الحكم التكليفي والحكم الوضعي، نحن عندما نتكلم عن الحكم الوضعي وهو: الصحة والبطلان، ولكن في جانب الحكم التكليفي: الايجاب والندب والتحريم والكراهة والإباحة، هذه الأحكام لا بد أن تربط بالجانب الديني والأخلاقي، وبالتالي يكون لها تأثير في العقود، وهذا هو منهاج هذا الدين (لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا) (المائدة: ١١٥)، كما قلت الإسلام له منهجيته في الابداع والعلوم، وله منهجيته في قضية الأخلاق، نحن لسنا مثل القانون الروماني الذي انفصلت عنه الأخلاق منذ عهد جستنيان[١٠]، لكنا نحن أخلاقنا جزء من عقودنا ومن ديننا، ننظر على سبيل المثال أهمية هذه الأخلاق في الإسلام، الله سبحانه وتعالى لخص واختصر وحصر هذه الرسالة بكمالها وكلياتها وشمولها (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ) (المائدة: ٣) بأنها رحمة للعالمين (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ) (الأنبياء: ١٠٧)، حصر كلي، كيف نستطيع إذن أن نفصل هذه المنهجية (الرحمة للعالمين) عن منهجية العبادات، وعن منهجية المعاملات، وعن منهجية السياسة، وعن منهجية الاقتصاد، وعن منهجية علم الاجتماع، وعن منهجية الأسرة، وكل المناهج أو كل البرامج التي تتفرع من ذلك، لذلك القرآن الكريم لم يقل رحمة للمسلمين، وإنما قال رحمة للعالمين؛ للكون، وأيضا حينما وصف الله سبحانه وتعالى رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم بهذه الصورة قسم (ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ) (القلم: من ١ إلى ٤)، بهذا التأكيد لعلى خلق عظيم، أعتقد أن هذا ليس هناك آية بهذا الشكل حتى في عبادة الرسول صلى الله عليه وسلم، نعم يذكر الله عبادته، ولكن وصفه ومدحه لها لم يكن بهذا الشكل، وإنما وصفه أنه على خلق عظيم..

ومن فقه الميزان الذي أصابنا فيه الخلل، وهو نظرتنا إلى الكون، في بداية الخليقة الله عرض موضوع استخلافه للإنسان على الملائكة، والملائكة استفسروا، (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ) (البقرة: ٣٠)، كان معيار ومنهاج الملائكة وميزان الملائكة، أن الفضل لمن لا يعصي، وأن الفضل لمن يسبح ويقدس، فبين الله سبحانه لهم أن ذلك ليس صحيحا لهذا المخلوق، أنتم نعم لا تعصون، لأن لكم وظيفة، ولكن هذا الإنسان وظيفته تعمير الكون، وتعمير الكون يحتاج إلى التسبيح والتقديس والعبودية لأنها تُصلح هذا الإنسان، ولكن هذا الإنسان لم يخلق فقط للتسبيح والتقديس، وإنما خلق مع التسبيح والتقديس لتعمير الكون والاستخلاف،

وأكد ذلك فقال: (هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا) (هود: ٦١)، وهذان الجانبان والكفتان المتوازيتان في هذا الانسان، فهو يعبد الله سبحانه وتعالى بما يصلحه، وليس كبيرا ولا يشكل أكثر من الربع أو العشر من وقته، وبقية وقته لتحقيق الاستخلاف، حتى

٨ البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الصوم، بَابُ مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ، وَالعَمَلَ بِهِ فِي الصَّوْمِ، رقم الحديث: ١٩٠٣

٩ مسند الإمام أحمد، مسند أبي هريرة رضي الله عنه، رقم الحديث: ٨٨٥٦

١٠ الإمبراطور البيزنطي جستينيان الأول (٥٢٧ – ٥٦٥م)، أحد أعظم أباطرة الرومان والبزيزنطيين، من أكبر إنجازاته وضع دستور جستنيان الذي يجمع بين القوانين الرومانية التي صدرت من زمن الإمبراطور هادريان وحتى عصره

تكون هذه الأمة التي تعبد الله، هي الأمة التي تكون قائمة على تعمير الكون في ضوء منهج الله سبحانه وتعالى، ولذلك عندما نحن تركنا جاء الغرب، وجاء الشرق فعمروا الكون بغير منهج الله، وعمروها بالاستكبار والغلبة والهيمنة، دون النظر إلى البيئة وإلى الأرض، وحينما رب العالمين يتكلم بأن هذا الانسان مخلوق (إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً) وبعدها خَلَقه الله تعالى من الأرض، معنى ذلك أخلاقيا أن هذه الأرض بمثابة الأم لهذا الإنسان، لذلك أنا ألقيت محاضرة في جامعة أوكسفورد بحضور ولي العهد البريطاني وقلت البيئة أمنا وشرحت ذلك، ثم استغربوا وقالوا كيف البيئة أمنا، وقلت ألسنا نحن في نظرنا وفي نظر جميع الأديان السماوية أننا مخلوقون من الأرض، فإذا كنا مخلوقين من الأرض يجب أن نبر بها كما نبر بآبائنا وأمهاتنا، وهذا حقيقة أخلاقية عظيمة جدا في تعاملنا مع هذا الكون، وحينما نقون بهذا تتحقق النتيجة، الأرض تحبك، والأرض تبكي عليك عند فقدك، (فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ) (الدخان: ٢٩)، يعني الآن أهل الغرب بهذه الأسلحة لو انتهوا، الأرض تشكر الله تعالى، والسماء كذلك لما يصل إليها من هذه الغازات، بلا شك لن تبك عليهم وإنما تلعنهم، لأنهم يؤذون الأرض.

«ولكن هذا الإنسان الذي يريده الله بجناحين؛ بجناح التسبيح والتقديس الذي يصلحه، وجناح التعمير والقراءة الشاملة في ظل الربوبية وكرامة الانسان، هو الذي يستطيع أن يصلح لهذا الكون ويحقق الأمن»

الإسلام جعل المرجعية العظمى في جميع الأخلاق الجيدة والطيبة التقوى، حتى العبادات شرعت لأجل التقوى (يَاأَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) (البقرة: ٢١)، والتقوى هي قمة الأخلاق، هي خوف من الله تعالى، الإيمان بالله وبالآخرة كل ذلك يكون التقوى، وهذه التقوى هي التي تحمي الإنسان وتدفعه نحو الأخلاق الجيدة، ويصبح مثل سيدنا يوسف ليس في الجانب الشهواني فقط، بل في كل المجالات، (وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ) (يوسف: ٢٣)، قال معاذ الله بدون فاء وبدون ثم وبدون أي تردد، إذن مرجعية الأخلاق الطيبة إلى التقوى، والتقوى قمة الأخلاق، ومرجعية الأخلاق السيئة إلى الظلم، (إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ) (لقمان: ١٣)، ولم يقل إن الظلم لشرك، ولا جزء من الشرك، جعل الله تعالى الظلم الذي هو مخالف لقضية السلم، ومخالف للرحمة والتعاون، جعله المرجعية العظمى لقضية الأخلاق السيئة، جميع الأخلاق السيئة تعود إلى الظلم، ظلم في حقوق الله، ظلم في حقوق الانسان، ظلم في حقوق الحيوان، ظلم في حقوق البيئة، كلها ظلم لا يخرج من هذه الدائرة، وهو قمة الأخلاق السيئة، لذلك رب العالمين ربط كل المشاكل بهذا الظلم، ولذلك حينما يهلك الظالم، الله سبحانه يحمد الله على نفسه، (فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) (الأنعام: ٤٥)، حتى حصر الهلاك بالظلم وليس بالكفر، فالله سبحانه لا يهلك الكافر لكفره فقط، وإنما يهلك الكافر لظلمه إذا ظلم، ولذلك رب العالمين يقول (هَلْ يُهْلَكُ إِلا الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ) (الأنعام: ٤٧)، (إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ) (الأنعام: ٢١)، (وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ) (القصص: ٥٩)، حصر كلي في هذه المسألة، لذلك أيضا من الجانب الآخر أثار الأعمال الطيبة جعلها الله تعالى للأخلاق..

وهذه الأخلاق تنشأ من خلال الإيمان بالله، ومن خلال التدريب والتزكية وغير ذلك،

«فإذا أردنا أن يعم الخير والرحمة والسلم بين الناس علينا أن ننشر الرحمة»

هناك آيات كثيرة أذكر منها في المجال الاقتصادي (وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا) (الإنسان: ٨)، اختيار لأضعف خلق الله تعالى دون النظر حتى الى جانب الدين، لأن الأسير غير مؤمن، واليتيم لا يعرف قد يصبح صالحا وقد يصبح غير ذلك، والفقير المسكين لا أمل لك به أن يساعدك بشيء، (إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلا شُكُورًا) (الإنسان: ٩)، ولكن بالنسبة للرأسمالية وبالنسبة لمن ليست له الأخلاق ماذا يفعل، القرآن ضرب لنا مثالا آخر (أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ وَلا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ) (الماعون: ١ إلى ٣)، وهذا الجانب الأساسي المتنور في قضية السلم والرحمة والتعاون إنما تحقق من خلال غرس الأخلاق في النفوس، ولذلك كان سيدنا رسول صلى الله عليه وسلم أكثر الناس شفقة بالأمة..

وقد ثبت في بعض كتب السيرة أنه صلى الله عليه وسلم عندما أصابت قريش مجاعة جمع مبلغا من المال وأرسله إلى فقراء قريش، وهم كانوا يعادونه ويفعلون ما يفعلون قبل فتح مكة المكرمة[١١]،

١١ إِنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا رَأَى قُرَيْشًا اسْتَعْصَوْا عَلَيْهِ، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَيْهِمْ بِسَبْعٍ كَسَبْعِ يُوسُفَ» فَأَخَذَتْهُمُ السَّنَةُ حَتَّى حَصَّتْ كُلَّ شَيْءٍ، حَتَّى أَكَلُوا العِظَامَ وَالجُلُودَ، فَقَالَ أَحَدُهُمْ: حَتَّى أَكَلُوا الجُلُودَ وَالمَيْتَةَ، وَجَعَلَ يَخْرُجُ

وطبعا من رحمة الرسول صلى الله عليه وسلم بالإنسان أنه لما يرى الفقير يتألم ويجمع له، ومن رحمته صلى الله عليه وسلم بالحيوانات وبالطيور أنه تألم لما رأى حمرة قد أخذت فراخها، فعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَفَرٍ، فَانْطَلَقَ لِحَاجَتِهِ فَرَأَيْنَا حُمَرَةً مَعَهَا فَرْخَانِ فَأَخَذْنَا فَرْخَيْهَا، فَجَاءَتِ الْحُمَرَةُ فَجَعَلَتْ تَفْرِشُ، فَجَاءَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «مَنْ فَجَعَ هَذِهِ بِوَلَدِهَا؟ رُدُّوا وَلَدَهَا إِلَيْهَا». وَرَأَى قَرْيَةَ نَمْلٍ قَدْ حَرَّقْنَاهَا فَقَالَ: «مَنْ حَرَّقَ هَذِهِ؟» قُلْنَا: نَحْنُ. قَالَ: «إِنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يُعَذِّبَ بِالنَّارِ إِلَّا رَبُّ النَّارِ»[12].

قدوتنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن لا بد أن نقتدي به في هذا المجال، كل عباداتنا بدون استثناء مربوطة بالأخلاق، إذن كيف تكون الأخلاق آدابا: الصلاة (إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ) (العنكبوت: ٤٥)، الصيام: (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) (البقرة: ١٨٣)، الزكاة: (خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا) (التوبة: ١٠٣)، طبعا (تطهرهم) من حيث الحقد والجشع والطمع، وكذلك (وتزكيهم) تنميهم التنمية الشاملة، التنمية الداخلية والتنمية الخارجية، والحج (لَنْ يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ) (الحج: ٣٧) وكذلك (الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ) (البقرة: ١٩٧).

وكذلك الله تعالى أنزل في سورة النساء اثنتي عشرة آية لأجل تحقيق الجانب الأخلاقي في مسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم قال تعالى: (وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا) (النساء: ١٠٥) هذه الآية نزلت في بعض أهل المدينة من المسلمين حيث سرق أحدهم والمسروق منه اشتكى إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وشك في هذا الرجل، ولكن قومه اجتمعوا والقوا (المسروق) وكان درعا في بيت أحد اليهود، وكان في ذلك الوقت صراع شديد جدا بين اليهود وبين المسلمين، وشهد عدد كبير أن الدرع في بيت اليهودي، وبالتالي اليهودي هو الذي تقطع يده أو يعاقب معاقبة شديدة جدا، وهم الرسول صلى الله عليه وسلم أن يصدر هذا الأمر، فنزلت هذه الآيات التي أوسطها (وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا) ويقولون إن هذا اليهودي لما علم ذلك أسلم[13]،

يعني نستطيع أن نقول بكل صراحة أنه يجب أن نضبط الأخلاق ونرجعها إلى أصلين: في الجانب الإيجابي إلى التقوى، وفي الجانب السلبي إلى الظلم،

ويمكن أيضا أن نضبط هذه الأخلاق الإسلامية بأصولها الأربع وهي: حسن الظن بالله تعالى، وحسن التعامل مع الله، وبالتالي هذا يترتب عليه آثار، وفي نفس الوقت هو تعامل أخلاقي مع رب العالمين من حيث توحيده والإيمان به، كذلك حسن التعامل مع أخيك الإنسان سواء كان هذا الإنسان مسلما أو غير مسلم،

وهنا تأتي قضية السلم وقضية الرحمة وقضية التعاون، ورب العالمين لم يذكر مع من تتعاون، (وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ) (المائدة: ٢) التعاون على البر والتقوى، أي: على الإحسان وعلى التقوى، الإحسان هو الجانب المادي، والتقوى هي الجانب المعنوي، فإذا وجدت أي شخص يتعامل على هاذين أو على أحدهما تتعاون معه مسلما كان أو كافرا، أي جنس كان، إلا إذا كان محتلا، نحن نتكلم عن عامة الناس، (وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ) سواء مع المسلمين أو مع غير المسلمين، ولا نتعامل مع المسلمين بوجه ومع غير المسلمين بوجه آخر، فالشخصية الازدواجية ليست من الإسلام وليست من عقائد الإسلام أبد، على سبيل المثال لما رئيس دولة الاحتلال ذهب إلى تركيا، هل ندين هذا أم لا؟

رغم أنني على صلة قوية جدا بالأستاذ أردوغان والرجل له مواقف جيدة ومشرفة مع قضايانا، لكن لا بد أن نقول الحق كيفما كان، فهذا واجبنا، فلا ندين دولة لأننا نكرهها، ولا ندين دولة أخرى لأننا نحبها، الميزان واحد، أنا كنت خمس سنوات أعيش في ضلال، ثم خمس وعشرون سنة أخرج الموازين حتى انتهى الكتاب، استغرق الكتاب ثلاثين سنة تقريبا، لكن كنت في حالة من الاضطراب

مِنَ الأَرْضِ كَهَيْئَةِ الدُّخَانِ، فَأَتَاهُ أَبُو سُفْيَانَ، فَقَالَ: أَيْ مُحَمَّدُ، إِنَّ قَوْمَكَ قَدْ هَلَكُوا، فَادْعُ اللَّهَ أَنْ يَكْشِفَ عَنْهُمْ، فَدَعَا. (البخاري، الجامع الصحيح، كتاب تفسير القرآن، بَابُ {ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ، وَقَالُوا: مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ}، رقم الحديث: ٤٨٢٤

١٢ أبو داوود، السنن، كتاب الجهاد، باب في كراهية حرق العدو بالنار، رقم الحديث: ٢٦٧٥

١٣ قال الطبري في سبب نزول هذه الآية: «ذكر لنا أن هؤلاء الآيات أنزلت في شأن طعمة بن أبيرق وفيما هم به نبي الله صلى الله عليه وسلم من عذره، وبين الله شأن طعمة بن أبيرق، ووعظ نبيه صلى الله عليه وسلم وحذره أن يكون للخائنين خصيما. وكان طعمة بن أبيرق رجلا من الأنصار، ثم أحد بني ظفر، سرق درعا لعمه كانت وديعة عنده، ثم قذفها على يهودي كان يغشاهم، يقال له زيد بن السمين، فجاء اليهودي إلى نبي الله صلى الله عليه وسلم يهتف، فلما رأى ذلك قومه بنو ظفر جاءوا إلى نبي الله صلى الله عليه وسلم ليعذروا صاحبهم، وكان نبي الله عليه الصلاة والسلام قد هم بعذره، حتى أنزل الله في شأنه ما أنزل، فقال: {ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم} إلى قوله: {ها أنتم هؤلاء جادلتم عنهم في الحياة الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة} يعني بذلك قومه، {ومن يكسب خطيئة أو إثما ثم يرم به بريئا فقد احتمل بهتانا وإثما مبينا}، وكان طعمة قذف بها بريئا فلما بين الله شأن طعمة، نافق ولحق بالمشركين بمكة، فأنزل الله في شأنه: {ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا}.

جدا، يا رب أنت أنزلت هذا الكتاب بين الناس أجمعين (وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) (النحل: ٦٤)، يا رب المسلمين مختلفون من أصل الصحابة الكرام، وكلهم يستشهدون بالقرآن الكريم، الخوارج، والمعتزلة، والجبرية، والقدرية، وفرق كثيرة اليوم: الدواعش، والقاعدة، وبوكو حرام، والشباب، والإخوان، والسلفية، والصوفية، والتبليغ، كلهم يستشهدون بك، لذلك كنت أعيش حالة خطيرة جدا وفي إحدى الليالي كنت اقرأ القرآن وأراجعه وصلت إلى هذه الآية من سورة الحديد (لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ) (الحديد: ٢٥)، هنا نطقت وأنا في الصلاة مع الأسف الشديد بدون وعي، وقلت نعم يا رب الخلل ليس في الكتاب، الخلل في الميزان، الموازين هي التي اختلت، موازين التصورات وموازين التصرفات، لأنه ليقوم الناس بالقسط، القسط في التصورات، والقسط في التصرفات، هذه الموازين التي اختلت، فلذلك موازيننا يجب أن تكون منضبطة..

نعم عندنا موازين الاضطرار يعملها الشخص، لكن لا يجوز للعالم الشرعي أخلاقيا أن يبرر شيئا غير الشرع، إلا وفق فقه الميزان، وحالة الاضطرار لا تجعل الشيء مباحا بصورة عامة، ولا تغير الحكم، وإنما تكون رخصة لتداوله وسماحا من الله سبحانه وتعالى لتناوله أو لارتكابه، فلذلك على المسلم أن يتعاون مع الجميع بشرط واحد (وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى)، ولا يتعاون مع أي شخص سواء كان أبا أو أخا أو أي مسلم مادام (عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ)، هذا هو الإسلام الذي هو صاحب المنهاج.

وجهت لي دعوة قبل خمسة عشر عاما لمناقشة بعض القضايا الفكرية والعملية للمسلمين في النرويج، التي كان يحكمها حزب العمل الاشتراكي، وكان جيدا مع المسلمين، لكن ظهرت عندهم مشاكل مع المسلمين الموجودين هناك، قبلت الدعوة وقلت لهم أرجو أن تحضروا لنا إخواننا في الإنسانية؛ القسس والرهبان حتى نلتقي معهم، ورتبنا بالمناسبة مباراة في كرة القدم، وأنا كان معي بعض أئمة المساجد في ذلك الوقت، وعرض علينا ممثل حزب الحاكم وحضر معه أحد الوزراء مشكلتهم، قال نحن عندنا مشكلة هل دينكم دين ازدواجي يجيز شيئا مرة ولا يجيز مرة أخرى؟ قلت كيف؟ فعرضوا علي فيلم وثائقي يذهبون بالصورة الرسمية إلى أئمة بعض المساجد ويقولون لهم ما موقفكم من الضرائب بالصورة الرسمية؟ فيجيبون على الناس أن يدفعوها، وبعدها يرسلون إليهم بعض من الناس السيئين من المسلمين ومعه آلة التسجيل والتصوير ويسألونهم نفس الأسئلة، فيقولون لهم هؤلاء كفرة واستعمرونا وكذا وكذا، ثم يقولون بصراحة لا ضرائب ولا كهرباء ولا ماء، كان هذا ملتبس عليهم فبينا لهم الحقائق وبينا لهم أن هؤلاء لا يمثلون الإسلام، وكانت

معنا من هولندا أخت مستشرقة كان اسمها كالين، بقيت معنا يوما كاملا، وفي آخر اليوم وأمام المسؤولين، قالت والله لو كان هؤلاء المسلمون يلتزمون بما ذكره البروفيسور علي القره داغي لأسلمنا أو أسلم معظمنا، ولكن مع الأسف الشديد نرى كلاما ولا نرى تطبيقا، بل نحن لا نرى حتى الكلام لأن لهؤلاء ازدواجية في المعايير، وبعدها أنا جمعت هؤلاء، طبعا ليس بالضرورة كلهم، قلت لهم يا جماعة ما وجهة نظركم في اباحة هذه الأموال، أنتم دخلتم بعقد، والله سبحانه وتعالى يقول: (يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ) (المائدة: ١)، وسيدنا إبراهيم يدعو الله أن لا يجعله فتنة للذين كفروا، قال تعالى: (رَبَّنَا لا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) (الممتحنة: ٥)، وهي فتنة، قالوا لي بصراحة هؤلاء كفرة، قلت طيب هل أنتم جئتم إلى هنا فاتحين؟ أو جئتم إلى هنا لأنكم مضطهدين في بلادكم؟ أو جئتم للاسترزاق؟ وهل أنتم تمثلون الأمة؟ المهم ناقشتهم مناقشة مستفيضة والحمد لله اقتنعوا بما نقول، لذلك الأخلاق هي التي تقربنا إلى الإسلام، وأختم كلامي بحادثة حقيقية أذكرها مع أخي وصديقي العزيز جارودي رحمه الله، سألته مرة من المرات كيف أسلمت؟ قال أقول لك الحقيقة؟ قلت نعم أنا أريد أن تعطيني السبب، أنت كنت مع الفيلسوف الوجودي سارتر، وكان سارتر يقول أملي الوحيد بأن يكون جارودي هو الذي يحيي فكري ويطوره أكثر، فإذا بك أسلمت والحمد لله، قال يا شيخ علي أنا اسلمت على يدي جندي جزائري، قلت سبحان الله وكيف؟ قال كنا نحن حوالي خمسة أو ستة ضباط احتياط سنة ١٩٤٤م أسرنا الألمان، وكان ضمن الجنود الألمان جندي جزائري، والضابط الألماني يعرف كره الجزائريين للفرنسيين، قال نادى الضابط أمامنا على الجندي وقال له أنت رجل تستحق أن تكرم، هؤلاء سبعة أو ستة أشخاص من الفرنسيين، خذهم لكن لا تقتلهم بسهولة، اقطهم قطعة قطعة، قال أخذنا والأغلال في أيدينا إلى خارج المعسكر، ثم صعد فوق حجر كبير وقال: يا جماعة أنا مسلم، واضطررت أن أكون جنديا في هذا المكان، ولكن الإسلام لا يجيز قتل الأسرى، لذلك أنا اطلق سراحكم، وأطلق الرصاص فوقكم، أرجوكم بكل ما تؤمنون به أن تبتعدوا، لأنه إذا أخذ واحد منكم أنا الذي يقطع قطعة قطعة، فَكَّنا وأراد الله

أن ننجو جميعا ستة أو سبعة أشخاص، هذا الكلام بقي له صدى في رأسي خمسة عشر عاما ليل نهار، من هذا الرجل الذي يضحي بنفسه في سبيل مبادئه؟ كان بإمكانه أن يقتلنا ونحن غير مسلمين، ونحن أسرى، ثم بعدها قلت هذا الإسلام لا بد أن أدرسه، بعدها درس الإسلام وأسلم، فهذه هي الأخلاق، إندونيسيا وماليزيا وبروناي والفلبين دخلوا في الإسلام عن طريق الاخلاق.

إضافات ومناقشة

.نحن في الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين قبل أكثر من عشر سنوات قمنا بورش العمل ومؤتمر وندوة للوصول إلى وضع ميثاق عالمي للأسرة، والحمد لله وصلنا لذلك، وحاولنا بشتى الوسائل أن نهتم بالأسس والمبادئ ولا ندخل في أي شيء خلافي بين فقهاء المذاهب الفقهية، الأسس القرآنية والنبوية والمجمع عليه بين العلماء، ثم دعونا منظمات العالم الإسلامي في حدود ٣٦٠ منظمة إنسانية وحقوقية ومهتمة بالمرأة وما أشبه من ذلك، وأضافوا عليه بعض التعديلات وأقروه، بعد ذلك قابلت الأستاذ أردوغان وطلبنا أن يقدموه إلى منظمة التعاون الإسلامي، لأن تركيا كانت ترأس المنظمة في تلك الفترة، لكن صارت مشاكل بين تركيا والسعودية، والسعودية لها دور كبير في منظمة التعاون، وهي الممولة الأساسية لها، ومقرها في المملكة العربية السعودية، لذلك مع الأسف لم يتم ذلك ولم تتبنى منظمة التعاون الإسلامي، فلازلنا ننتظر والميثاق عندنا يتكون في حدود ثلاثون مادة، وأنا حتى عرضتها بالمناسبة على بعض القسس، وعلى بعض يعني اليهود في بريطانيا، طبعا هؤلاء علاقتهم جيدة مع القضايا العربية وهم ضد الصهاينة، قالوا لا مشكلة لدينا، لأننا هذه المشاكل أخلاقية وكلنا نعاني منها، ونأمل إن شاء الله أن تقدم الوثيقة إلى منظمة التعاون الإسلامي، فإن تبنتها منظمة التعاون الإسلامي (٥٧ دولة) تستطيع أن تضعها في الأمم المتحدة، وإن وضعت في الأمم المتحدة يكون على الأقل أمام العالم وثيقتان: وثيقة السيداو التي وضعت من سنة ١٩٧٨م، وهذه الوثيقة، لكن مع الأسف الشديد خلافتنا السياسية تؤثر في كل الأمور.

.من أهم الكتب في مجال الأخلاق، دستور الأخلاق في القرآن لأستاذنا الشيخ عبد الله الدراز[١٤]، وكذلك الموسوعة الأخلاقية الكبيرة لعبد الرحمن حسن حبنكة الميداني[١٥] أحد كبار العلماء في سوريا، وكتاب أخلاق الإسلام للشيخ القرضاوي، وأنا كتبت كتابا حول المبادئ الأخلاقية في عالم الطب والبيولوجيا، باللغة العربية وترجم للغة الإنجليزية وهو كتاب بديل عن كتاب المبادئ الأخلاقية التي ألفها اثنان من الأمريكان.

أما بالنسبة للأسباب في عالمنا الإسلامي فترجع أولا إلى المناهج والبرامج، وثانيا إلى القدوة خاصة داخل الأسرة والحكومة، لأن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن.

> «الأخلاق في الجانب الفقهي لم تأخذ حقها تماما, ففي الصلاة مثلا لا يتكلمون عن الخشوع إلا قليلا, إنما يتكلمون عن أركان الصلاة, وسنن الصلاة»

وفي باب البيوع يتكلمون عن أحكام العقد وأركان العقد، ولا يتكلمون عن الغش والتدليس والأخلاق «رحم الله رجلا سمحا إذا باع وإذا اشترى وإذا اقتضى»[١٦]، لذلك أنا بدأت من خلال فقه الميزان بإعادة كتابة الفقه الإسلامي من هذا الجانب، بدأت بكفتيه الجانب المادي (إن صح التعبير) المحسوس والملموس، والجانب العقدي والإيماني أيضا، حتى في جانب الاقتصاد، موسوعتي قائمة على هذا الأساس، ما مررت على شيء إلا بدأت بجانب الأخلاق.

١٤ الدكتور محمد عبد الله الدراز، عضو هيئة كبار العلماء بالأزهر، ولد سنة ١٨٩٤م، حاصل على الدكتوراه من السوربون سنة ١٩٧٤م رفض منصب شيخ الأزهر، توفي رحمه في يناير ١٩٥٧م أثناء حضوره المؤتمر الإسلامي في باكستان، من أهم مؤلفاته: مدل إلى القرآن، دستور الأخلاق في القرآن، النبأ العظيم...

١٥ ولد عبد الرحمن بن حسن مرزوق حبنكة الميداني سنة ١٩٢٧ في حي الميدان بضواحي دمشق، وكان والده من أبرز المكافحين ضد الاحتلال الفرنسي، أسس العديد من المدارس الشرعية في المحافظات السورية، ولما رحل إلى السعودية اتير عضوا في المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة، وعضوا في مجلس هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية، توفي رحمه الله في دمشق يوم ١١ غشت ٢٠٠٤م.

١٦ البخاري، الجامع الصحيح، كتاب البيوع، باب السهولة والسماحة في الشراء والبيع ومن طلب حقا فليطلبه في عفاف، رقم الحديث: ٢٠٧٦

في فلسفة المشترك الإنساني الأسس الدينية والقيم الكونية

د أحمد الفراك. المغرب
أستاذ الفلسفة بجامعة عبد المالك السعدي

د. أحمد الفراك[1]

مقدمة

المشترك الإنساني هو مجموع القواسم المشتركة الكبرى بين الناس، على اختلاف مرجعياتهم الدينية والثقافية والجغرافية والعرقية وغيرها، إذ الناس شركاءٌ مع بعضهم في الخِلقة الآدمية والأرض والفطرة والحياة والبيئة والطيبات... جميعهم أوتوا هذه الأعطيات ابتداءً بوصفهم ينتمون إلى الإنسانية المشتركة قبل تمايز الثقافات بين الأمم والشعوب. فالناس شركاء في الوجود والحياة والمصير، أحرارٌ ابتداءً بوصفهم ينتمون إلى الإنسانية المشتركة قبل تمايز الثقافات بين الأمم والشعوب[2]، والنظرة الأخلاقية الإيجابية للآخرين تقتضي أن تعترف بخيريتهم وأفضالهم ومساواتهم في مبدأ الإنسانية.

لخطاب المشترك رهانه، والرهان في المشترك أو «الطبيعة المشتركة بين أشخاص الناس»[3] بتعبير ابن سينا هو إنشاء مخالقة كوكبية نكتشف أصولها ونبني عليها «مواطنة عالمية» تتجاوز حدود الاقتراح الكانطي إلى أُفق قوله تعالى: {فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ ۖ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ} (الملك:١٥). ومن شأن بالمشترك الإنساني في الوقت الراهن سيُغني التفكير البشري، ويوفر له الأفق الفلسفي والأخلاقي والعاطفي للمُضي قدما نحو التعاون والتعايش والتوافق والتواثق بين جميع الآدميين، عوض الارتكاز على ثقافة العداوة والإقصاء التي تشكلت بطريقة أحادية من خلال الفتن التاريخية والتي لا تزال تعيق التفكير في إقامة المشترك وتمنع منافعه في الحاضر والمستقبل، والتلفُّع خلف مقولاتٍ تُشيطن الغير بشكل مطلق وتتَّهمه بالمؤامرة والخيانة ابتداء. وخاصة أن العالم قد أضحى اليوم شبكة مركبة ومتداخلة من العلائق المعقدة التي يستعصي إلغاؤها أو تجاهلها.

ولا شك أن الاقتناع بأهمية المشترك الإنساني يجعل الذات تعترف بالآخر المخالف، وتسعى إلى التعارف والتعاون معه، وتُعنى بالبحث في ثقافته عن عناصر التآخي والاتفاق والتفاهم. والانفتاح على مرجعيات الآخرين واحترام خصوصياتهم ونُشدان القيم المشتركة معهم دون استعلاء ولا استتباع، جنبا إلى جنب مع مراجعة الوعي الذاتي المشوَّه بالتمثلات التراثية والإيديولوجية والفلسفية المتقلصة التي صدرت وتصدر عن سوء فهم كبير في تأويل النصوص المؤسِّسة وشروحاتها. مع التأكيد على أن التركيز على المشترك لا يطلب التنكر للأصول المرجعية المنطلق منها بقدر ما يطلب تجديد النظر فيها بمنهجية تستوعب الآخر ولا تقصيه، وتُحضِره ولا تنفيه.

> «والإنسانية اليوم في حاجة ماسة إلى استلهام العناصر الجامعة، ومراعاة المشتركات الكبرى التي تجمع بين كليات الدين (دين الوحي ودين الفطرة)»

ونظريات العلم ومقاصد العمران وأمهات المصالح، وما يقتضيه ذلك من مراجعةٍ فكرية لفلسفة الصراع والصدام والتناكر بين الأغيار. وتسنُد هذا الرأي الكثير من الأفكار والمواقف الحديثة في الفلسفة السياسية والأخلاقية والدينية والقانونية لتلتقي في فكرة المشترك الإنساني. فماهي الأسس الكبرى التي يستند إليها خطاب المشترك؟ وماهي القيم الناظمة لروح هذا الخطاب؟

أولا: الأسس الدينية للمشترك الإنساني

لا توجد من الناحية التاريخية والأنثروبولوجية ثقافة بلا دين، بل «لا وجود لإنسان بغير دين» يدين به، حتى قيل إن «الإنسان كائن حي مُتدين»، ولذلك فإن هوية الكائن البشري هي في الأصل «هوية دينية»[4]، يؤكد ذلك الحضور الكبير والدائم للدين في العالم قديما وحديثا، وحيوية هذا الحضور وديناميته، وتأثيراته الواسعة في الأفراد والجماعات والأمم رغم مختلف التغيرات الطارئة في الحياة العلمية والتقنية والسياسية وغيرها.

قد يتراخي تدين الناس ويضعف الوازع الديني لكن الدين يتجدد باستمرار ولا ينقطع، فهناك طوائف دينية لا تزال تحافظ على صحف النبي آدم والنبي شيث عليهم السلام (الصابئة مثلا)، وفي كل

---

١ رئيس شعبة الفلسفة والفكر الإسلامي والحضارة بكلية أصول الدين بتطوان.

٢ انظر: الفراك، أحمد. المسلمون والغرب والتأسيس القرآني للمشترك الإنساني، منشورات المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فرجينيا، ط ١، ٢٠٢١م، ص ٣٧

٣ ابن سينا، أبو علي. منطق المشرقيين، تقديم شكري النجار، دار الحداثة، بيروت، ط ١، ١٩٨٢م، ص ٤٠

٤ انظر الفراك، أحمد. المسلمون والغرب والتأسيس القرآني للمشترك الإنساني، ص ٥٧

زمن توجد «بقية» «صالحة» تنهى عن الكفر والفساد، في كل أمة ومِلة، قال الله تعالى: {فَلَوْلاَ كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الأَرْضِ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مَا أُتْرِفُواْ فِيهِ وَكَانُواْ مُجْرِمِينَ} (هود:١١٦).

بين الأديان مشترك كُلي، يُعبَّر عنه بمبدأ «الوحدة المتعالية للأديان»، إذ غالب أهل الأرض يدينون بدينٍ مُنزل، وعليه يكون بين المسلمين والغرب مشتركُ التوحيد العقدي، أو «الدين المشترك» بحسب تعبير ابن تيمية. كما يلاحظ استمرار الأسئلة الدينية المُلِحة والمشكلات المطروحة المتعلقة بقضايا الإنسان المعاصر، وهي متسمة بالكونية وتنسحب على جميع الثقافات تأثيرا وتأثراً، من قبيل: الخلق والمخلوقية، الوجود والمصير، العبادة والجزاء، التحسين والتقبيح، الخير والشر...ونظرا لأهمية الدين في الاجتماع البشري وتأثيره في قلب جميع مجالات الحياة، ينصبُّ الاهتمام عليه من مختلف

لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ} (الشورى: ١٣)، وفي ذلك يقول ابن تيمية: «هذا هو الدين الجامع العام الذي اشترك فيه جميع الأنبياء، والإسلام العام والإيمان العام»[٥]، الذي ورثه القرآن الكريم والنبوة الخاتمة إلى يوم الدين.

وانسجاما مع حقيقة «أن الدين عند الله الإسلام في جميع الرسالات، وعند كل المرسلين» فقد جاء القرآن مؤكدا لما جاءت به الكتب السابقة من العقائد والحقائق والأصول، متمما لها لا قاطعا معها، بل مرتقيا بالبشرية إلى أبلغ مدى يمكنها الترقي إليه في تدينها الخاتم الأخير في الأرض، التي ليس بعد أنبيائها نبي، ولا بعد كتبها كتاب. ومن هنا جاءت الرسالة الخاتمة لتتمم الخير وتستأنف البناء، لا لتلغي ما سبق وتهدم ما بُني، إلا ما كان من باطلٍ طرأ في التاريخ مِن فعل الإنسان الظالم لنفسه ولغيره، فهذا لا يخلو منه تاريخ ولا تديُّن.

التخصصات، لذلك نلاحظ تنظيم العديد من المؤتمرات والملتقيات الدولية، وإصدار مجموعة من الوثائق والإعلانات والاتفاقات، فضلا عن غزارة البحث والتأليف والدراسة في ما يعنى بالموضوع.

وفي السياق نفسه، استأنفت رسالة الإسلام الخاتمة رسالات النبوات السابقة، مستصحبة بشارتها ونذارتها في العالمين، فما جاء به القرآن الكريم في الوحي الخاتم هو من جنس القول الذي قيل للأنبياء من قبل، فهو يحمل مضامين خالدة خلود الكلام الإلهي المقدس، وموجه إلى الإنسان المبتلى بالوجود والمؤتمن عليه في الوقت نفسه، يُنبئ عن حكمة ربانية عُلوية في هذه الوحدة والانسجام في المهام والوظائف بين الأنبياء عليهم السلام، قال الله تعالى: {شَرَعَ

وانسجاما مع ما سبق، فبين الأنبياء أزمان وليس بينهم «خلافات»، إذ هي نُبوة واحدة وكأنها أبوة واحدة مستمرة إلى الختم المحمدي المتمم والمكمل والمصدق، ففي الحديث: «مَثَلي ومَثل الأنبياء قبلي، كمثلِ رجل بنى بيتاً فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنةٍ من زاوية من زواياه، فجعل الناس يطوفون به، ويعجبون له، ويقولون هلا وُضعت هذه اللبنة! فأنا تلكم اللبنة وأنا خاتم النبيين.»[٦] البيت واحد والنبيؤون

---

٥ ابن تيمية، أحمد عبد الحليم. الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، مطابع المجد التجارية، الرياض، د.ت، ٣٣/٤

٦ أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المناقب، باب خاتم النبيئين، رقم: (٥٧٦٩)

لبناتُه، والناس جميعا يطوفون بهذا البيت المشترك، وينتظرون كماله الذي يتم فيه كمالهم وتمامه الذي تتمم به أخلاقهم. لذلك فالدين الذي ارتضاه الله للإنسانية شجرةٌ واحدة ممتدة جذورها من لدن آدم إلى محمد عليهم السلام، إنه «الدين المشترك»[٧] الذي يبني العالمية التي تستقبلها الإنسانية لما تستيقظ من قراءاتها العضين التي صنعتها تأويلات المبطلين ونقلتها متون الوراقين.

في الحديث: «الأنبياء إخوة لعلات، أمهاتهم شتى ودينهم واحد»[٨]، وفي رواية مسلم: «أنا أولى الناس بعيسى بن مريم في الأولى والآخرة. قالوا: كيف يا رسول الله؟ قال: الأنبياء إخوة من علات، وأمهاتهم شتى، ودينهم واحد، وليس بيننا نبي»[٩]، لأن ما جاءوا إلا بدين واحد، وبنو العلات هم أولاد الرجل من نسوة شتى، وأما وجه التسمية فرجح القاضي عياض وغيره أن الأنبياء مختلفون في أزمانهم وبعضهم بعيد الوقت من بعض، فهم أولاد علات إذ لم يجمعهم زمان واحد كما لم يجمع أولاد العلات بطن واحد، وعيسى لما كان قريب الزمان من النبي الخاتم عليه الصلاة والسلام، ولم يكن بينهما نبي كانا كأنهما في زمان واحد، فقال أنا أولى الناس بعيسى بن مريم عليه السلام. قالوا كيف يا رسول الله؟ فقال «الأنبياء إخوة من علات»[١٠].

وبوَّب الإمام البخاري في صحيحه، بابا بعنوان «باب ما جاء أن دين الأنبياء واحد» وذكر هذا الحديث، وقال: هذا هو دين الإسلام الذي أخبر الله أنه دين أنبيائه ورسله مِن أولهم نوح إلى خاتمهم محمد فهو بمنزلة الأب الواحد لبني آدم أجمعين، قال تعالى: {قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا} (الأعراف: ١٥٨)، وقال أيضا: {وأرسلناك للناس رسولا وكفى بالله شهيدا} (النساء:٧٩).

> «فهو في روحه وأصله ومقصده دين واحدٌ لجميع الناس، أي أن «دينهم واحد، وهو عبادة الله وحده لا شريك له»،

٧ ابن تيمية، أحمد عبد الحليم. مجموع الفتاوي، دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، الرياض، ١٤١٢هـ/١٩٩١م، ٧/٢٣٩- ٢٣٥

٨ البخاري، محمد بن اسماعيل. صحيح البخاري، كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى: {واذكر في الكتاب مريم}، رقم الحديث: (٣١٨٧)

٩ صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب فضائل عيسى عليه السلام، رقم الحديث: (٢٣٦٥)

١٠ صحيح البخاري، كتاب الأنبياء، رقم الحديث: ٣٢٥٨، وصحيح مسلم؛ كتاب الفضائل، رقم الحديث:(٢٣٦٥)

وهو يُعبد في كل وقت بما أمر به في ذلك الوقت، وذلك هو دين الإسلام في ذلك الوقت»[١١]، وإذا كانت الرسالة موحدة والرسول مُرسل إلى الناس كافة فالخطاب والتفكير ينبغي أن ينصرف إلى إعداد مشروع العالم الذي يستقبل هذه الرسالة. وحين يكون هذا هو المبدأ، حين تكون هذه هي الركيزة الموجودة في باطن النفس، فإن صراع الشر في الناس يكون هو الحالة الطارئة التي لا تلبث أن تزول[١٢].

ثانيا: القرآن الكريم آخر رسالات الإسلام

صدَّق القرآن الكريم على الكتب السابقة واستأنف مسيرة الهداية للخلق والتصحيح للمعارف والتصديق على الحقائق، بوصفه رسالة عالمية إلى جميع الناس، قال تعالى: {تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا} (الفرقان:١)، وقال سبحانه: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} (سبأ:٢٨)، فهو كتاب العالم، ليس بلُغته اليوم، بل برسالته الخالدة والوارثة للرسالات والمستأنفة لنور الهداية في الأزمان المستقبلة. وقد تواترت النبوات وتوارثت أصل الإيمان المحكم الذي تفسر به باقي المعتقدات وترجع إليه كل المشتهات، ورسائل الوحي كلها نبعت من مشكاة واحدة، ولذلك فالأسس والأصول والقيم واحدة وإن تنوعت الشرائع أحيانا بين الأمم؛ فكان لكلّ أمة شرعتها ومنهاجها.

يذكرنا القرآن الكريم وفي غير ما موضع ببديهية وحدة الخالق وحقيقة وحدة الرسالات الإلهية للرُّسل جميعا، ووحدة الفطرة البشرية، ووحدة الأرض والطيبات المبثوثة فيها والسنن الناظمة لحركتها، ليُنبهنا إلى أن الناس جميعا يشتركون في مخلوقيتهم ومجعوليتهم الخارجة عن إرادتهم واختيارهم، وكأنهم ذات واحدة، مكلفة بالتكليف نفسه. ناهيك عن الخضوع الجِبلي لهذه الذات لقوانين الطبيعة التي تحمل قدر الله الكوني الثابت الذي لا يتبدل إلا بإذنه، كما يشتركون في توجه خطاب التكليف إليهم جميعا بمضمون الوحي لعلهم يهتدون ويقصدون إلى مصالحهم العاجلة والآجلة. فنحن إخوة في الخِلقة والتكليف والمصلحة والمصير.

في جميع الرسالات تبقى المرجعية المطلقة هي الوحي المنزل من الله تعالى على أنبيائه، ومدار الوحي على معرفة الله تعالى ونسبة الخلق

١١ ابن تيمية، أحمد عبد الحليم. اقتضاء الصراط المستقيم، تحقيق ناصر عبد الكريم العقل، مكتبة الرشد، الرياض، د.ت، ٢/٨٤٨

١٢ انظر: ياسين، عبد السلام. العدل، دار الآفاق، الدار البيضاء، ط١، ١٩٩٨م، ص ٣٣١-٣٣٢

والأمر إليه، ومعرفة مراده من خلقه، من قبيل العمل الصالح والمسارعة في الخيرات والإصلاح في الأرض، أي الجمع بين الإيمان لأن «أصل الدين هو الإيمان بالله ورسوله»[١٣]، وبين العمل الصالح في الأرض، إذ الاستخلاف عمل، بل مقصد من مقاصد الجَعْل في الأرض والمُكث فيها إلى حين. أو قل باختصار إن الإيمان بالله هو: «الإقرار بوحدانية الله تعالى والتصديق بها»[١٤] عمليا.

ومن شأن التأسيس القرآني للمشترك الإنساني أن يُنهض الأمة المسلمة ويذكرها بواجبها الائتماني لتؤدي رسالتها العالمية وتستثمر أعطيات التسخير الإلهي لعباده في صناعة العمران الإنساني الجامع للفضائل، وإسعاد الإنسان بفضائل إكمال الدين ومكارم ختم النبوات، واستئناف مسيرات الدلالة على الخير والإعراض عن الشر، إنصاتا لصوت الحق السماوي الذي ينتشل الإنسان المنغمس في أوحال الأشيائية، ويقيمه مستويا على صراط مستقيم.

وقدوةُ البشرية في كل حين بقيةٌ صالحة في كل أمة من الأمم وملة من الملل، شاهدة بالقسط بين الناس، قائمة لله لا للتاريخ والقوم والمِلكية، لا تخشى لومة لائم ولا تخضع لسطوة ظالم. طليعةٌ صالحة ومُصلحة في كل جيل تدفع آفات الاستفساد والتخسير والظلم في الأرض، قال الله تعالى: {فَلَوْلاَ كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الأَرْضِ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مَا أُتْرِفُواْ فِيهِ وَكَانُواْ مُجْرِمِينَ} (هود:١١٦).

ولا يفيد القول بالمشترك إلغاء التنوع الثقافي ومحو الاختلاف الفكري وإكراه الناس على الإيمان برؤية أحادية في الاعتقاد، بقدر ما يفيد تركيز الاهتمام على المجامع التي تشد إليها كل بني آدم، دينا ومعرفة ومصلحة، أي التي تجمع شمل الإنسانية على «احترام الكرامة الإنسانية واحترام النفس الإنسانية من غير نظر إلى دينها أو جنسها، فنفس غير المسلم على سواء في المعاملة مع نفس المسلم... ومن الكرامة الإنسانية التسوية المطلقة بين بني آدم في التكريم، لأنهم جميعا متساوون في هذا القدر الذي يستحق التكريم»[١٥]، تلك هي فلسفة الدين كما يقدمها نص الوحي في نفي الإكراه أصلا عن الإنسان في الاعتقاد والسلوك.

القرآن الكريم مشتركٌ إنساني من حيث هو كتاب الإنسان، وليس كتاب طائفة أو كتاب مذهب أو كتاب عصر بعينه، وللناس جميعا الحق في قراءته واستنطاقه واستخراج كنوزه وتأويله، كما أن مجمل القضايا التي يُذكِّر بها أو يُنبه الإنسانية إليها هي قضايا مصيرية ومشتركة وهي محط اهتمام الإنسان من حيث هو إنسان؛ الحياة الفردية والجماعية، وخيرات الأرض والطيبات المبثوثة فيها، واختلاف الألوان والألسن والثقافات، ومسائل الطمأنينة والحياة الطيبة والسعادة والموت وما بعد الموت وغيرها، فلا مناص من

١٣ ابن تيمية، أحمد عبد الحليم. رسائل من السجن، مطبعة فضالة، ط١، ٢٠٠٥م، ص ٤٥. ومجموع الفتاوى، مرجع سابق، ص ٤٥٢

١٤ الألوسي، شهاب الدين محمود. روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٤هـ/١٩٧٧م، (٢٢٧/٤)

١٥ أبو زهرة، محمد. تنظيم الإسلام للمجتمع، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٩٦٥م، ص٢٨

النظر فيها والإنصات إلى الآخر وتدبير المشترك منها والمختلف.

ويوفر التأسيس القرآني للأصول والمطالب المشتركة للمسلمين فضاء فسيحا وممتدا للتواصل والتعارف والتبادل مع الغير، فهو يمدهم بمبادئ التوجيه الروحي المطلق والحفز المعنوي الأقوى للأفراد والشعوب والأمم على الإيمان بأمهات الفضائل والعمل بها، انطلاقا من الإيمان المشترك بوحدة الخالق، ووحدة المخلوق، ووحدة الحق، ووحدة الحياة، ووحدة الأرض، ووحدة الطيبات، ووحدة القيم الكبرى الخالدة خلود الحياة البشرية. ونُشدانا لمطالب الخير العام كلها عدلا وحرية وسلما وأخوة، إذ القصد من خلق الخلق، وإنزال الكتب وإرسال الرسل هو معرفة الحق وفعل الخير، ومنه إقامة عمران أخوي بروح واحدة وإن اختلفت الأشكال والألوان، عمران يكون ملاذا للبشرية التائهة في عصرٍ كثرت مواجعه وعمّت فواجعه.

> «ويتبين من التطبيقات النبوية للوحي الحرص الدائم على إشراك الغير والتعاون معه والتركيز على المشترك الجامع الذي ترتضيه جميع الأطراف وتحقق به مصلحتها في العاجل والآجل».

بل تحفظ المختلف فيه أيضا وتحترم التنوع دون منازعة المختلفين أو إجبارهم على مغادرة اعتقاداتهم، وفي هذا انسجام مع فطرة الحياة التي فُطر عليها النوع الإنساني، حيث التنوع عطاء فطري أصيل، وحكمته سبحانه اقتضت أن نأتلف ونختلف، و»إذا جعلنا في بؤرة وعينا أن خطاب القرآن الكريم إنما هو بكل بساطة تعبير عن الفطرة الإنسانية السوية الغائية الإعمارية الأخلاقية، وعن سنن الفطرة والكون من حولها، والتي ليست هي إلا حقائق الخلق وجوهره، والتي جاء الوحي(النقل) لا ليتجاوزها، أو ليتنكر لها، أو ليُغيرها، وإنما جاء لكي يجعل جوهر هذه الفطرة السوية الإنسانية والسنن الكونية في بؤرة وعي الإنسان، وفي بؤرة إدراكه، وذلك لكي يرشِّد فطرة الإنسان، ويهدي مسيرته في سعيه لتحقيق ذاته وفطرته الإنسانية الروحية السوية، والاستجابة لحاجات فطرة خلقه ونوازعه التسخيرية الإعمارية الحضارية، وبالأسلوب والوسائل البناءة الصحيحة لتحقيق الذات الإنسانية السوية، وبذلك يهتدي سعي الإنسان.»[16]

ثالثا: الأساس الأخلاقي للمشترك الإنساني

من خلال تتبع مختلف الخطابات المطلبية للإنسان المعاصر يُنتبه إلى أنها تتركز عموما في أربعة أساسية نزعم أنها من أمهات المطالب التي أكد عليها الخطاب القرآني والتي لا تختلف فيها الأمم، وهي في نظرنا من أولى أولويات الاجتهاد المعاصر:

١- مطلبُ العدل نداءٌ قرآني ومشتركٌ إنساني

من المطالب المشتركة اليوم ومستقبلا مطلبُ ضمان العدالة في المجتمعات الإنسانية، وفي كل جوانب الحياة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والفكرية، فما لم تقم حياة الأمم على قيم العدل والقسط والإنصاف فإن جميع الفضائل الأخرى ستنتقض الواحدة تلو الأخرى. فالحرية بلا عدل ستتحول إلى فوضى، والحق بلا عدل يتحول إلى فتنة، والخير بلا عدل قد يستحيل ضربا من الشر. وكل تعطيل للعدالة هو إذنٌ بتفشي الرذيلة وتوابعها من السلوكات الإفسادية في المجتمع، من ظلم واعتداء وانتهاك للحرمات وسفك للدماء وسلب للأموال والأوطان، وترويع للآمنين، وفي ذلك إذن بخراب الأمم.

فالعدل اسم من أسماء الله تعالى، وصفة من صفاته، وميزانه في الكون {وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ} (الرحمن:٧)، ومطلب خالد تنشده الإنسانية جمعاء، ومن أجل إقامته في الأرض بعث الله الأنبياء وأنزل الكتب، {لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ}(الحديد:٢٤)، والعدل هو الميزان الذي تقدر به الأعمال ويوزن به الأشخاص وهو الوحيد الذي لا تميل كفته، ولا يختل وزنه، ولا يضطرب مقياسه، وهو قوام الدنيا والدين، وبه يكتمل صلاح العباد وعمران البلاد»[17].

والأمر الإلهي بالعدل عامٌّ لجميع الأمم، وفي جميع الظروف، وهذا المشترك منه هو الذي سماه الأصفهاني بالعدل المطلق بقوله: «عدل مطلق يقتضي العقل حسنه، ولا يكون منسوخا في شيء من الأزمنة ولا يوصف بالجور في حال»[18]، وإذا كان العدل هو تاج العمران والصلاح، فإن الظلم هو علة الخراب والهلاك، قال الله تعالى: {وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا}(الكهف:٥٨)، و{ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاء عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ}(الأنعام:٧)، مَن جانَبَ العدل جانب الصواب وعرّض عمرانه للخراب، وإذا غاب

١٦ أبو سليمان، عبد الحميد. الرؤية الكونية الحضارية القرآنية، المنطلق الأساس للإصلاح الإنساني، دار السلام، القاهرة، ط١، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م، ص ٣٤-٣٥

١٧ الفراك، أحمد. المسلمون والغرب والتأسيس القرآني للمشترك الإنساني، ص ١١٧

١٨ الأصفهاني، الراغب. الذريعة إلى مكارم الشريعة، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٠م، ص ٢٤١

العدل هلك الناس وفسدت معيشتهم. ومن تجنب العدل وخالف فطرة الله التي فطر الناس عليها تعرض لغضب الله وعذابه في الآخرة: {وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ}(الأنبياء:٤٧)، وفي الحديث القدسي: «يا عبادي إني حرمتُ الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا»[١٩]، والبشرية طيلة مسيرتها لم تعرف شيئا أبعث للسعادة والرخاء من العدل، كما لم تعرف شيئا أبعث للشقاء والدمار من الظلم، لذلك فوجود العدل هو الشهادة الحقة على سلامة المجتمع الإنساني أو فساده، وهو الضمانة لتآلف القلوب وتعارف الناس، وتقارب الأمم، وتعايش الأجناس.

العدل بلا ريب هو مطلب إنساني دائم، ومن صميمه الاعتراف بالغير والاتفاق معه على قيم مشتركة ومعايير عامة للاحترام المتبادل، وسريان قيمة العدل في فكر الإنسان وسلوكه تسفه في التعالي عن قيود العرق واللغة والقومية والجغرافيا والزمان، لكل ذلك ركز القرآن الكريم على قيمة العدل وجعلها قيمة القيم، فلا يوجد ركن في القرآن إلا والعدل فيه مطلب، سواء ارتبط بالفرد أو الجماعة أو الأمة، وسواء اتصل بالعقيدة أو المعاملة أو العبادة. بل إن القرآن جعله أهم المطالب التي دعا إلى تحقيقها، وصُلب حقوق الإنسان التي لا تكريم له في الأرض إلا بها، قال الله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ}(النحل:٩٠)، لذلك كانت هذه الآية كما قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «أجمع آية في القرآن»[٢٠]. فيتبين أن العدل مطلب البشرية جميعا.

ولذلك جاءت الآيات الآمرة بالعدل كثيرة ومتواترة، منها: {وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ}(الأنعام:١٥٣)، و{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ}(المائدة:٩)، و{إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِالْعَدْلِ إِنَّ اللّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللّهَ كَانَ سَمِيعاً بَصِيراً} (النساء:٥٨)، {وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ}(المائدة:٤٢)، و{إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبِّ الْمُعْتَدِينَ}(البقرة:١٩٠)، و{إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِالْعَدْلِ}(النساء:٥٨)، ورفع الحجاب عن دعوة المظلوم. ولأهمية العدل أثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم على «الإمام العادل»، وهو من السبعة الفائزين بظل الله يوم الحشر، ففي الحديث «سبعةٌ يُظلهم الله تعالى في ظله يوم لا ظلّ إلا ظله إمامٌ عدل وشاب نشأ في عبادة الله ورجل قلبه معلق في المساجد ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه»[٢١]، فليس العدل إذن قضية ثانوية في القرآن، ولا يقتصر على مجال دون آخر، إذ ليس لسلطانه حدود، فهو يتجاوز العقيدة والمذهب والقرابة والجغرافية والجنس واللون واللغة، ويتصل بوحدة الإنسانية الكونية المشتركة.

يتشوف الناس عبر تاريخ البشرية إلى عدلٍ يقيم أودهم وينتشلهم من بؤس الحرمان والفقر والظلم، ولذلك أرسل الله النبيين مبشرين ومنذرين شهداء لله قوامين بالقسط بمعناه الشامل فيضعون الشيء في موضعه ويحققون التوازن في القسمة والاتزان في العمران، يُؤمِّنون للمحتاج حقه ويهذبون فضول أموال الأغنياء، ولا ينسون الجانب الآخر المتمثل في حقوق الله على العباد، فأعظم الظلم أن يظلم العبد ربه، ولذلك جاء القرآن الكريم بالكِلم الجامع وهو القسط بمعناه الشامل «الاستقامة في حقوق الله وحقوق العباد»، ولعل هذا ما وضحه ابن القيم بقوله: «إن الشريعة مبناها وأساسها على الحكم ومصالح العباد في المعاش والمعاد، وهي عدل كلها، ورحمة كلها، ومصالح كلها، وحكمة كلها، فكل مسألة خرجت عن العدل إلى الجور وعن الرحمة إلى ضدها، وعن المصلحة إلى المفسدة، وعن الحكمة إلى العبث، فليست من الشريعة وإن أدخلت فيها بالتأويل. فالشريعة عدل الله بين عباده ورحمته بين خلقه وظله في أرضه وحكمته الدالة عليه وعلى صدق رسوله صلى الله عليه وسلم أتم دلالة وأصدقها، وهي نوره الذي به أبصر المبصرون، وهداه الذي به اهتدى المهتدون.»[٢٢]

وكل إفساد في الأرض يتحمل مسؤوليته الإنسان، وكل خراب يطرأ في العمران فهو مما كسبت أيدي الناس، ولا دين له يسوغه وإن استُخرج دليله من الدين وتأوله الديانيون والدنياويون، ودفعُه في الدين واجبٌ بكل السبل لأنه سلوك هادم للقيم الدينية والإنسانية كلها. وما جاء دين الحق طبعا إلا ليُحرمه ويحث الناس على اجتنابه لعلهم يفلحون،

١٩ صحيح مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة، باب تحريم الظلم، رقم الحديث: (٢٥٧٧)

٢٠ ابن كثير، إسماعيل بن عمر. تفسير القرآن العظيم، دار النهضة العربية للطباعة، بيروت، ط٥، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م، ص٥٩٦

٢١ صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب الصدقة باليمين، رقم الحديث: (١٣٥٧)

٢٢ ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر. أعلام الموقعين عن رب العالمين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١هـ/١٩٩١م، ١٢/٣

وهل جاءت الرسائل السماوية إلا لإزاحة الظلم من حياة الناس؟ داعية إلى تحسين الأخلاق وتطييب الأرزاق وتوحيد الأعراق وإصلاح الأفكار وتقصيد الأعمال في الحال والمآل.

2- مطلب الحرية ونبذ الإكراه

في قوله تعالى: {لا إكراه في الدين}(البقرة:٢٥٥)، و{وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ} (يونس:٩٩) رفعٌ للإكراه في الاعتقاد، دخولا وخروجا، حيث يتحرر الإنسان من آفات الإكراه والإجبار، وتؤمَّن له فضاءات الإبداع والعطاء والإسهام في البناء العمراني الشامل، ذلك أن قدرات الإنسان العقلية والقلبية والعاطفية والجوارحية تحتاج إلى تحريرٍ في مستوى مبدأ التوحيد الذي جاء به القرآن الكريم، والذي فتح بصيرة الإنسان على ربه وعلى نفسه وعلى عوالم الكون الفسيح؛ اللامتناهي في الصغر لدقته واللامتناهي في الكبر لجلاله، وأرشده إلى الاهتداء بالآيات البينات في الكتابين: القرآن المجيد المُيَسر للذِّكر والكون الفسيح المسَخر للإعمار، من أجل بناء عمران الإنسان المؤتمن؛ عمران العلم النافع والعمل الصالح والإيمان الصادق.

والإنسان المؤتمن في وجوده على نفسه والأحياء المسخرة له من حوله قادر على اختيار أفعاله، إذ على حريته تترتب مسؤوليته على تلك الأفعال خيرها وشرها[٢٣]، لكن حريته كما يؤكد أبو الوليد ابن رشد رهينة بضرورة مواتاة الأسباب الداخلية، أي القدرات الذاتية للفرد، والأسباب الخارجية «التي سخرها الله مِن خارج»، ويعني نظام الكون المقدر مِن الله، وهي قدرات وأسباب يستحيل إلغاؤها أو تجاهلها، بمعنى أن حريته مقرونة بإرادته ومسؤوليته من جهة ومشروطة بمختلِف الحتميات البدنية والكونية التي تحدد وجوده من جهة ثانية»[٢٤]، وهذا يفيد أن حرية الإنسان ليست سائبة كما كانت تتصورها بعض المذاهب الفلسفية المعاصرة، مثل الفلسفة الوجودية، ولا معدومة كلية كما تصورتها بعض المواقف الفكرية كموقف باروخ اسبينوزا (١٦٣٢-١٦٧٧)، وإنما هي في نظرنا على الأقل اختيارٌ ومواتاة ومسؤولية. اختيار الأفعال ومواتاة الأسباب وتحمل مسؤولية التبعات. قال الله تعالى:{وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ}(الصافات:٣٩).

يكفل الإسلام الحرية للشخص بوصفه إنسانا نوعا يعمر الأرض بإرادة متعالية مقدسة أنشأته وكتبت له التعمير في الحياة إلى حين، ذلك أن «الصورة الإنسانية والماهية الإنسانية طبيعة لا محالة يشترك فيها أشخاص النوع كلها بالسوية، وهي بحدّها شيء واحد»[٢٥] كما يؤكد ابن سينا، ولا يجبر الشخص على عقيدة محددة أو مذهب مخصوص أو طريقة معينة، بل يترك له أن يختار ما يشاء وبقدر صحته دون إكراه، حتى يتحمل مسؤوليته في ذلك الاختيار. فتكون لكل شخص الحرية في اختيار العقيدة التي يؤمن بها وفي أن يمارس شعائرها من غير إكراه، أو أن ينتقل من عقيدة إلى أخرى بحسب اقتناعه وإيمانه، وقد «جيء بنفي الجنس لقصد العموم نصًّا، وهي دليل إبطال الإكراه بسائر أنواعه؛ لأن أمر الإيمان يجري على الاستدلال والتمكين من النظر»[٢٦]، فلا يجوز حمل الناس كرها على الدين فبالأحرى على عقيدة بعينها لأن ذلك مخالف لحكمة الله في خلقه إذ جعل منهم المؤمن والكافر، البر والفاجر، التقي والشقي، وغاية الإسلام أن يبين هذا السبيل دون أن يلزم الناس به أو ينفي وجود باقي السبل.

قاعدة «نفي الإكراه في الدين»، تثبت الحرية الأصلية للإنسان في الاعتقاد وفي السلوك، وتؤكد ما ذهب إليه ابن سينا من أن «ماهية كل شخص هي بإنسانيته»، فالحرية وصف للفطرة التي نشأت عليها البشرية، وما مادام الدين دين الله، والإنسان عبد الله فهو مخير في دينه وفي درجة تدينه، وإلا لا يسلم التدين في غياب الحرية.

أقر القرآن الكريم حرية الفكر والسلوك للناس على اختلافهم، ودعا الإنسان إلى التدبر القلبي والتفكر العقلي والتجريب الحسي للدلالة على الهداية والرشد والطريق القويم، وإن كانت أديانهم مختلفة فقاعدة {لكم دينكم ولي دين}(الكافرون:٦) لا تجعل لأحد سلطة الإكراه على أحد، {وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ}(الكهف: ٢٩)، لذلك كان الإلحاح القرآني على أصل الحرية لتحرير الأفراد من جميع الانحرافات والخرافات والعقائد الزائفة والأخلاق الفاسدة والمعاملات الظالمة، والتأويلات المنغلقة، وخاصة تلك التي تعبث بإنسانية الإنسان وتبيح إهدار كرامته، وتمنعه من حقوقه البدينة والفكرية التي ولدت معه بوصفه إنسانا قبل أن يكون له رأي واعتقاد ومذهب.

وحفظا لمطلب الحرية بوصفها أصلا سابقا عن الاعتقاد، شاهدا ببراءة الإنسان لا بخطيئته الأصلية، أنكر الله تعالى على الذين يعتدون على الناس ويظلمونهم، وشدد النكير على الذين يتلبدون بالذين آمنوا وعملوا الصالحات ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس ويسخرون من خطابهم ويستهزئون بأخلاقهم، ويضحكون من استقامتهم.

إن كل سلوك إفسادي في الأرض، من ظلمٍ واعتداءٍ وانتهاكٍ للحرمات

٢٣ انظر: ابن باجة، محمد بن أبي بكر. تدبير المتوحد، ضمن رسائل ابن باجة الإلهية، بيروت، ط ١، ١٩٦٨م، ص ٤٦

٢٤ انظر: ابن رشد، محمد أبو الوليد. الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط ٢، ٢٠٠١م، ص ١٨٨- ١٨٩

٢٥ ابن سينا، كتاب الشفاء، نقلا عن: جلال الدين، سعيد. معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، دار الجنوب للنشر، تونس، ص ٢٥٠

٢٦ ابن عاشور، محمد الطاهر. التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج ٣، ص ٢٦

وسفكٍ للدماء وهدمٍ للبيوت أو تشميعها وسلب للأموال واحتلال للأوطان، أو ترويع للآمنين أو استعباد للآدميين لا دين له ولا دليل يقوم عليه، ينبذه كل الأسوياء والعقلاء، ويكون دفعُه واجب بكل السُّبل لأنه سلوك هادم للقيم الدينية والإنسانية كلها. وجاء الدين ليُحرمه ويوجب اجتنابه، وهل جاءت الرسائل السماوية إلا لإزاحة الظلم من حياة الناس؟ بتحسين خُلقهم، وإصلاح تعقلهم، وتقويم تصرفهم، وتقصيد سعيهم، وبيان علل خلقهم وغايات وجودهم ومآلهم. هذا ما تدعوا إليه كل الشرائع المكونة لرسالة الإسلام، وكل القيم الإنسانية النبيلة التي توارثتها البشرية.

وعلى هذا الأساس، لابد لمن يحمل مشروع إعادة البناء على الأساس الأول لتحرير الإنسان من عبودية الأهواء والأشياء والأسماء إلى عبادة الله الخالق البارئ الحكيم، ومن جور تزوير الأديان وتحريفها إلى عدل الإسلام دين الرحمة للعالمين، ومن ضيق الدنيا المختزَلة في الملذات البدينة وحدها إلى سعة الدنيا والآخرة سعادة ممتدة بلا انقطاع، لابد له من تجديد النظر في الوجود والقيم والمعرفة بمنهاج القرآن الكريم المؤسس على المقاصد القرآنية الكلية؛ التوحيد والعدل والإحسان والعمران...

«ولا يتحقق النظر بمنهاج القرآن إلا عبر تحرير العقل والإرادة»، وتخليصهما من آفات التقليد والجمود والتجزيء من جهة، ومن آفات التغريب والتبعية والانقياد من جهة ثانية. ف«الشارع متشوف للحرية»[٢٧] في كلمة واحدة.

3- مطلب الأخوة الآدمية ومخالقة الغير

بالرغم من وجود أساس مشترك أكبر بين الرسائل السماوية، وهو ما ذكرنا مظاهره فيما سبق، فإن حكمة الله اقتضت أن يختلف الناس فيما بينهم ليحققوا التعايش والتعارف وإلا لكان التطابق والتوحد، ولو لم يكن الاختلاف بينهم لفقد الوجود سُننه التدافعية والتنافسية والتكاملية والتداولية[٢٨]، إذ الاختلاف واقع بمشيئة الله وحكمته، وعليه قام الوجود وبه يستمر، من حيث لا يتصور وقوع خلافه. قال تعالى:{وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ}(هود:١١٨)، أي أنه لا ينقطع الاختلاف بين الناس ولا تذوب الثقافات في ثقافة واحدة، ولا تستطيع قيم العولمة أن تبتلع الحضارات المختلفة وتطمس آثارها، قال ابن كثير في تفسير الآية: «ولا يزال الخلف بين الناس في أديانهم واعتقادات مللهم ونحلهم ومذاهبهم وآرائهم»[٢٩]، وقال الطاهر بن عاشور: «لا جرم أن الله خلق البشر على نظام من شأنه طريان الاختلاف بينهم في الأمور... الاختلاف دائم بينهم لأنه من مقتضى ما جبلت عليه العقول»[٣٠]، واللام في {ولذلك} هي «لام التعليل لأنه لما خلقهم على جبلةٍ قاضية باختلاف الآراء والنزعات وكان مريدا لمقتضى تلك الجبلة وعالما به كما بيناه آنفا كان الاختلاف علة غائية لخلقهم، والعلة الغائية لا يلزمها القصر عليها بل يكفي أنها غاية الفعل.»[٣١] إذ اقتضت الحكمة الإلهية أن يختلف الناس وأن يعيشوا مختلفين، ولذلك لا يفكر العاقل في إلغاء الشرائع من الأرض أو محو اختلاف أهلها أو إجبار الناس على تنميط اعتقادهم وتفكيرهم ورغباتهم وسلوكهم. لكن المطلوب المرغوب هو التقليل من دواعي الخلاف بينهم والتكثير من دواعي الائتلاف.

وفي مقابل ذلك فرفضُ الاختلاف جهلٌ بالحكمة الإلهية في الخلق والغاية من الوجود، بالإضافة إلى كونه نقصٌ في العقل وفرضٌ للوصاية على الناس، فالله تعالى وحده يهدي وهو وحده يحكم بين عباده يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون، قال تعالى: {وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ} (الشورى:١٥).

وهكذا فرغم الاتفاق على وحدة الخالق {اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ} فإن ذلك لا يفيد وحدة العمل والإحساس والسلوك والموقف {لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ}، إذ تدخل عوامل الزمن والتنشئة الاجتماعية والتطبيع الثقافي والتكيف البيئي والوضع الاقتصادي وتعاقب الأجيال وتداخل المصالح واختلاف الأهواء في تعدد الفهم وتباين التأويل واختلاف التمثلات والأفكار المسبقة، و«لا حجة بيننا وبينكم»، بمعنى لا خصومة بيننا ولا جدال في أن يُحترم الغير ويُتعامل بالحسنى والرفق والرحمة. لكن ثبوت الاختلاف لا يفيد تأبيده وتوسيع دائرته، مثلما لا يفيد السعي لإنهائه وقطع دابره، فهو اختلاف داخل مشتركات كبرى، قائم بأسبابه الذاتية والموضوعية وتاريخه الحقيقي والمتوهم، وإنما هو عامل إنهاض للقيام بواجب تنظيم هذا الاختلاف في إطار البناء على أسس المشترك بين الناس قصد حماية الحياة الجماعية للبشرية من أن تجتالها تصرفات الذين اجتالتهم الأهواء وأعمتهم الأطماع، وقد ورد في الحديث القدسي: «خلقتُ عبادي حنفاء كلهم فاجتالتهم الشياطين عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحللت لهم،

٢٧ ابن عاشور، الطاهر. أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، دار السلام، القاهرة، ط٢، ٢٠٠٦، ص١٥٨

٢٨ التداولية، بمعنى تداول القيادة وتبادل المنتجات الفكرية والسلعية، تدبرا في قوله تعالى: {وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاء وَاللهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِينَ} (آل عمران:١٤٠)

٢٩ ابن كثير، إسماعيل. تفسير القرآن العظيم، مرجع سابق، ص ٣٦٢

٣٠ ابن عاشور، محمد الطاهر. التحرير والتنوير، مرجع سابق، ص١٨٨

٣١ المرجع نفسه، ص ٩٠

وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً.»[٣٢]

إذا رفع اللَّبس عن ضرورة الاختلاف والتنوع بين الثقافات والحضارات والشعوب، ما ثبتت ضرورة الوحدة الآدمية بين الأفراد والشعوب والقبائل[٣٣]، وهي وحدة لا تلغي التدافع والاختلاف والمنافسة والمغالبة والحوار، فإن التحدي لا يقع في نبذ الاختلاف ومحو أثره أو مجرد الاعتراف به، وإنما يقع في كيفية تدبيره تدبيرا تشاركيا يُسهم فيه الجميع كل بمؤهلاته وقدراته وإنجازاته، دون أن يطغى طرف على طرف فيستكبر عليه ويستضعفه. ولا يحصل هذا التدبير في نظرنا إلا بالاتفاق على مبدأ المخالقة.

ومقتضى المخالقة محبة الخير للغير، ومنه الاعتراف بحق الغير في الاختلاف بوصفه جزءا لا يتجزأ من الكُل الإنساني وجوديا ومعرفيا وأخلاقيا، بل وأن يحب له ما يحبه لنفسه وأن يكره له ما يكره لنفسه، ففي الحديث: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحبه لنفسه»[٣٤]، وفي إنجيل متى: «كل ما تريدون أن يفعل الناس بكم، فافعلوه أنتم أيضا.»[٣٥] ولهذا فأول ما ينبغي استحضاره في النظر لموضوع تنظيم الاختلاف واستيعابه بغية استثماره في بناء مشترك إنساني هو قيمة الاعتراف بالغير، فالغير موجود ووجوده ضروري لوجود الذات ولا يتصور وجود لهذه الأخيرة إلا به ومعه، إذ «لا يتعرف الفرد إلى الخير وقواعده وطرقه وعلاماته إلا من خلال العمل الاجتماعي»[٣٦]، الذي يجتمع فيه مع غيره، وحتى إن ادعت بعض الفلسفات اكتفاء الذات بذاتها وعدم حاجتها لوجود الغير فلسفة ديكارت مثلا، فإنه لا يتصور حتى ذهنيا خلاص الذات من التفكير في الآخرين وبالآخرين ومع الآخرين. ثم إن معرفة الآخرين ممكنة عن طريق التواصل والتعارف والتبادل والتعايش معهم، عملا بالوازع الأخلاقي الفطري والديني الذي يبعث في الإنسان روح التعاون والتآخي والتضامن، على خلاف الفلسفات التي تنظر للآخرين بريبة وشك واتهام الفلسفة الوجودية مثلا، أو نظرة إقصاء وتناف وكراهية وانتقام واقتتال كما روجت فلسفة فريديريك هيغل.

ولما ثبت أنه لا مندوحة من الحياة مع الغير وثبت أن الحياة مع الغير لا تستقيم إلا بالاعتراف المتبادل، فإنه لا بد أن يحصل التفاضل بين الأمم وبين الشعوب كما هو واقع بين الأفراد أيضا، سواء في الكفاءات أو في الإنجازات، أوفي الطبائع والعادات، لذلك وجب على كل طرف أن يعترف بخير الغير وما خصه الله به من مكرمات، قال الله تعالى: {وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ} (البقرة:١٠٥). ولا شك أن الاختلاف المحمود والتنوع الراشد قائدان إلى التنافس والتدافع والتكامل والتعارف، وتوسيع مساحة المشترك المستوعب والمنفتح، وما يقتضيه ذلك من درء أسباب ومظاهر التناحر والتشاحن والإقصاء، لأن كثيرا من النزاعات الاجتماعية وأشكال عدم التفاهم، تأتينا من سوء تبادل النظرة بيننا وبين غيرنا، فكل النزاعات تحركها قناعات أخلاقية تصدر عن مرجعيات تأسيسية توفر لها المعنى والمعقولية، حتى وإن بدت وكأنها مجرد وسائل وأدوات.

ولو لم يكن الاختلاف رحمة لجعلنا الله أُمة واحدةً بلغةٍ واحدةٍ ولونٍ واحدٍ وسيرورةٍ واحدة، وهذا غير واقع ولا يُتصور وقوعه. قال الله تعالى: {لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ}(المائدة:٥٠)، فمِن سُنن الله في الكون أن يستمر الاختلاف، ومن مطالب الدين أن يُنظم هذا الاختلاف ولا يُطمس.

الغير هو الذات الأخرى، هو الإنسان نفسه، هو الإنسانية التي يشترك أفرادها في الخلق والأرض والمصلحة والمصير، من حيث لا يستغنى عن الغير، يقول الفارابي بهذا الصدد: «وكل واحد من الناس مفطور على أنه محتاج، في قوامه، وفي أن يبلغ أفضل كمالاته، إلى أشياء كثيرة لا يمكنه أن يقوم بها كلها هو وحده، بل يحتاج إلى قومٍ يقوم له كل واحد منهم بشيء مما يحتاج إليه. وكل واحد من كل واحد بهذه الحال...ولهذا كثرت أشخاص الإنسان، فحصلوا في المعمورة من الأرض، فحدثت منها الاجتماعات الإنسانية»[٣٧]، أي أن العلاقة مع الغير هي علاقة اشتراك وتعارف وجودي عمراني لا محيد عنه، إلا من جهة الغفلة عن السنن الكونية التي تنتظم الوجود العمراني عموما. ولعل هذا ما يؤكده ابن خلدون بقوله: «**الاجتماع ضروري للنوع الإنساني. وإلا لم يكمل وجودهم وما أراد الله من اعتمار العالم بهم واستخلافه إياهم. وهذا هو معنى العمران.**»[٣٨]

---

٣٢ رواه البيهقي، باب بيانِ معنى قوله: خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ، رقم الحديث: (٥٢٣).

٣٣ انظر: رفيع، محماد. المنهج القرآني في بناء المشترك الإنساني، مجلة إسلامية المعرفة، عدد ٦٦، (٢٠١١)، ص: ١١٦.

٣٤ صحيح البخاري في كتاب الإيمان: باب: من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، رقم: (١٣)

٣٥ إنجيل متى: ١٢/٧، وإنجيل لوقى: ٣١/٦

٣٦ هانس، كينغ. مشروع أخلاقي عالمي، دور الديانات في السلام العالمي، ترجمة: جوزيف معلوف وأورسُولا عسّاف، بيروت: دار صادر، ط١، ١٩٩٨م، ص ١١٢

٣٧ الفارابي، أبو نصر. آراء أهل المدينة الفاضلة، تحقيق ألبير نصري نادر، بيروت: دار المشرق، ط ٤، ١٩٧٣، ص ١١٧

٣٨ ابن خلدون، عبد الرحمن. المقدمة، تحقيق عبد السلام الشدادي، بيت الفنون والعلوم والآداب، الدار البيضاء، ط١، ٢٠٠٥، ٦٨/١

ومن قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ}(الحجرات:١٣)، تتأصل ثقافة التعارف العابرة للتصنيفات العرقية والعقدية والقومية والفكرانية، فصيغة «لتعارفوا» غير مقيدة بالقوم أو المذهب أو الوطن، وإنما هي منفتحة على الجميع، وهو ما يقتضي التفكير في العيش الجامع القائم على المخالقة والاحترام.

ومنطق التعارف لا يلغي كون ذريات آدم عليه السلام مختلفة في تدينها، منها الصالح المصلِح ومنها الصالح القاعد ومنها من يقبل الإصلاح، ومنها الظالم لنفسه أو لغيره وغير ذلك، قال الله تعالى:{ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ} (فاطر:٣٢)، وقال تعالى:{لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا}(النساء:١٢٢-١٢٣)، وفي هذا إبطالٌ للدعاوى الملتصقة بالأنساب والألقاب والأساطير والأماني.

4-مطلب السِّلم في العالم ونبذ العنف

لا أمان ولا سلام في اجتماعٍ إنساني تسود فيه ثقافة العنف وسلطة السيف وحق القوة ومنطق الاستكبار، إذ العنف تغييبٌ لثقافة الحوار والتجاور والتعارف والسلام، وإنما الأمان والرخاء في مجتمع السلم، ومقتضى قاعدة السِّلم دخول الناس جميعا في عقد السلام الجماعي المستوحى من قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً}(البقرة:٢٠٦)، إذ بالدخول فيه تُفَك الرقاب وتُحقَن الدماء، ويتعايش الناس في رحاب إنسانية متراحمة متآخية متواصية بالحق والصبر والمرحمة، متعاونة على البر والخير والتقوى، مُرسية قواعد الأمن والأمان والطمأنينة، دافعة لكل صنوف الشر والعدوان والفساد. وإن اختلفت المعتقدات، ويمكن سوغ هذه القاعدة كما يلي: «الأصل في العلاقات بين الناس السِّلم»

السِّلم تحرير للأفراد والجماعات من الخوف والانحراف، وتعايش جميع أفراد النوع الإنساني في بيئة عمرانية واجتماعية وسياسية مع الانسجام التام بالأمن والعدالة والاحترام المتبادل، بعيدا عن كل أشكال العنف والصدام والحرب. غير أن ذلك لا يفيد إقامة حياة ملؤها السلم المثالي الذي لا حرب معه وكأنها جنة الآخرة. إذ من الممكن أن يحدث القتال بين طرفين أو أكثر، بين الأفراد أو بين الجماعات، والدولة جماعة. أو بين تكتلات كبرى كما وقع فيما سمي بـ«الحرب العالمية» في النصف الأول من القرن العشرين. وهذا لا يتعارض مع قاعدة السّلم، وإنما هو استثناء له قاعدته التي يمكن أن نضعها كما يلي: «القتال ضرورة للمضطر غير باغٍ ولا عادٍ»

ولا يرادف مصطلح القتال مصطلح الحرب في القرآن، لأن الحرب تعني المواجهة المادية أو المعنوية، أما المواجهة المادية فقد وردت في مثل قوله تعالى: {إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا}(محمد:٤-٥)، أما المعنوية فتستفاد من قوله تعالى:{فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ} (البقرة:٢٧٨). وأما مصطلح القتال فقد ورد بدلالتين أيضا: قتال مادي يُفضي إلى موت الجسد وإنهاء حياة الكائن البشري، وهو في الغالب قتال سلبي إلا أن يكون دفاعا عن النفس لرد الاعتداء، وقتال معنوي روحي يفضي إلى تطهير النفس من الفواحش والآثام الباطنة، وهو في الغالب قتال إيجابي إلا أن يكون تعذيبا للنفس وتحملا لما لا يطاق.

القتال المادي هو الضرب الذي قد يفضي إلى الموت، وهو محكوم في القرآن والسنة بجملة من الضوابط الصارمة التي تقننه، ومنها ألا يقع القتال إلا دفعا لعدوان، وألا يُقتل الأسير والمستسلم والطفل والعجوز والمرأة. وحتى في الحالة التي يشرع فيها القرآن استعمال القوة في ظل شروط معينة وصارمة،

فإن القيم القرآنية تدعو إلى الصفح والعفو والصبر بدلا من الثأر والانتقام والعنف.

قال الله تعالى: {وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ} (الشورى: ٣٧-٤٠).

أما القتل انتصارا للرأي، أو انتقاما من الخصم، أو رفضا للاختلاف الديني أو العرقي أو الجنسي، فهو خُسران مبين، وأمر ذلك لائحٌ في قوله تعالى: {مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا} (المائدة:٣٢).

» وأما القتال المعنوي فهو إلزام

النفس بطاعة الله وإن كرهتها وحملها على فعل الخير واجتناب الشر»، وإجبارها على الحكم بالعدل ورفض الظلم، أي قتل الصفات الذميمة في النفس، قال الله تعالى:{وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ}(البقرة:٥٣)، أي «حمل الأمر بقتل النفس هنا على معنى القتل المجازي وهو التذييل والقهر.»[٣٩]

الدخول في السلم حِصنٌ وأمانٌ من الحرب التدميرية والصراع العبثي الذي ألحق أضرارا جسيمة بعالمنا، ولا يزال يهدد مستقبلنا الذي تتلبد سماءه غيوم العنف الأعمى، زادته التقانة الحديثة دقة وقدرة على الفتك والتدمير في أقل مدة من الزمن. والسلم مجال تعايش كل أفراد النوع الإنساني، أي «الكافة»، في بيئة اجتماعية وسياسية منسجمة وآمنة، في إطار ما يسميه طه عبد الرحمن بـ«هوية أوطانية».

لقد كانت دعوة القرآن إلى السلم دعوة عالمية عامة، تشمل جميع أفراد وجماعات البشرية على اختلاف مِللهم ونِحلهم، لأنه «لا بلوغ إلى السلام الديني إلا من خلال دمج الآخرين»[٤٠] المختلفين ثقافيا وعرقيا ودينيا، وهي نفس الدعوة التي جاءت بها باقي الرسالات السماوية، إذ الأصل في الدين نبذ العنف لا تشريعه، وتزكية نفس الإنسان لا تدسيتها، ورحمة الغير لا النقمة عليه.

خاتمة واستنتاجات

إن المطالب الكلية التي تسعى الإنسانية لتحقيقها في تاريخها الطويل هي التي دعا القرآن الكريم لحفظها من جانب الوجود ومن جانب العدم، وتيسير ما يحفظها ودفع ما يفسدها أو يضر بضمانها، وتحريم تفويت هذه الأمور «يستحيل ألا تشتمل عليه مِلة من المِلل، وشريعة من الشرائع التي أريد بها إصلاح الخلق، ولذا لم تختلف الشرائع في تحريم الكفر، والقتل، والزنا، والسرقة»[٤١]، وبتوجيه السعي نحو هذه المطالب المرعية «في كل ملة، بحيث لم تختلف فيها الملل، كما اختلفت في الفروع، فهي أصول الدين، وقواعد الشريعة، وكليات الملة»[٤٢] كما يقول الشاطبي.

يحمل القرآن الكريم تذكيرا للإنسان بوحدة الأصل الخِلقي، إذ خرجت الإنسانية من روح واحدة، ونشأت من زوج واحد، وتشكلت من أسرة واحدة، وتصاهرت بين العُمومة والخُؤولة، وسارت قبائل وشعوباً وأُمماً، وكُلّفت التكليف نفسه، وتعيش على الأرض نفسها، وترجع الرّجعة نفسها، وتخضع للسُّنن الإلهية التي لا تتبدل. وبناء عليه وجب أن تستثمر هذه الوحدة الأصلية من أجل بناء المشترك الإنساني بين مختلف الدول والشعوب في المستقبل، وبشكل من الأشكال الميسّرة والممكنة.

ومن شأن بيان الأسس القرآنية للمشترك الإنساني في جميع مجالات الحياة أن ينبه الإنسانية إلى «الماهية المشتركة»[٤٣] بين جميع الناس بتعبير ابن سينا، أي الكليات الجامعة التي تؤسس لعمران الاستخلاف الراشد، كما يساعد نظريا وعمليا على بلورة تصورٍ واضح المعالم عن فكرة «وحدة الإنسانية»، وإقامة علاقات إيجابية بين الشعوب وتكامل فعّال بين الثقافات، على أساس القيم المشتركة؛ الدينية والأخلاقية والحقوقية والبيئية... ونبذ قيم الاستكبار والاستضعاف والاستفساد. كما سيحاصر في نظرنا الفلسفات الصّراعية والعبثية والفوضوية التي تشعل الحروب والصدام والكراهية بين الأمم. آنذاك ستؤول الأمور إلى إمامة الصالحين للعالمين، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ (الأنبياء:١٠٥). وقال سبحانه: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾(النور:٥٥).

والاقتناع بالمشترك الإنساني يجعل الذات تعترف بالآخر المخالف وتستحضره كما هو لا كما تريده في تفكيرها وسعيها، وتُعنى بالبحث في ثقافته عن عناصر التوافق والتعاقد والاحترام والتعايش. والانفتاح على مرجعيات الآخرين واحترام خصوصياتهم ونشدان القيم المشتركة معهم دون استعلاء ولا استتباع، موازاة مع مراجعة الوعي الذاتي المشوه بالتّمثلات التراثية والإيديولوجية والفلسفية

٣٩ ابن عاشور، محمد الطاهر. التحرير والتنوير، مرجع سابق، ص: ٥٠٣

٤٠ هانس، كينغ. مشروع أخلاقي عالمي، دور الديانات في السلام العالمي، مرجع سابق، ص ١٧٤

٤١ الغزالي، أبو حامد. المستصفى من علم الأصول، تحقيق مصطفى أبو العلا، القاهرة: مكتبة الجندي، ٢٧٨/١

٤٢ الشاطبي، أبو إسحاق. الموافقات في أصول الشريعة، تحقيق عبد الله دراز، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣م، ١٩/٢

٤٣ ابن سينا، أبو علي. منطق المشرقيين، مرجع سابق، ص ٤٠

المتقلصة التي تصدر عن سوء فهم كبير في تأويل النصوص المؤسِّسة وبعض شروحاتها المتحيزة. مع العلم أن المشترك لا يشترط التنكر للأصول المرجعية المنطلق منها بقدر ما يطلب تجديد النظر فيها بمنهجية تستوعب الآخر ولا تلغيه، وتُحضره ولا تنفيه.

كما نستنتج أن الخطاب الذي يستحضر «المشترك الإنساني» هو الخطاب الوحيد في نظرنا المؤهل لبناء ثقافة عالمة جديدة تمثل الإجماع المعنوي على قبول الرُّشد والعمل بمقتضاه، وتمكن من التخلص من الأفكار الميتة المنقولة من الماضي دون تجديد، والحماية من الأفكار المدمرة المستوردة دون تمحيص، فالمشترك الإنساني مُعطى أصلي وضرورة حضارية آنية ومستقبلية، والإعراض عنه ينشئ واقعا هوياتيا متصارعا ومتكارها يكرر مآسي الماضي ويؤبد آفات الاستفساد في العرض والاستكبار في الأرض.الأمر الذي يستدعي علماء الأمة المسلمة ومثقفيها لبناء فقهٍ جامعٍ ينطلق من معالجة أدواء الصراع الهوياتي الذي تعيشه الإنسانية اليوم ويبحث عن سبل النهوض به إلى واقع عمراني عامرٍ بقيم ومعاني الأخوة الإنسانية، التي يعيش فيها الإنسان مطمئنا على حياته، مستشرفا عالم التسخير المشترك. ولن تجد الإنسانية غير القرآن الكريم منهاجا لحل إشكالاتها ومعالجة مشكلاتها، ولن تجد سوى رسالة الإسلام العالمية لإعادة صياغة إمكانات الالتقاء والتفاهم والتعارف والتعايش، في أفق عالمية جديدة تقطع مع ثقافة شمال/جنوب، وشرق/غرب، وأبيض/أسود، وتنشئ ثقافة جديدة أكثر قربا من الحق وأكثر تقريبا بين الناس وأكثر رحمة للخلق، شعارها {هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ} (الملك:١٥).

ثقافة اللاعنف

الفنان: مويسيس ماطو

مخرج وفنان مسرحي إسباني

أود أن أشارك مع حضراتكم التجربة النظرية والعملية التي طورناها في إسبانيا خلال ١٥ سنة الأخيرة في مختلف مجموعات «اللاعنف»، وحاليا بين مجموعة» اللاعنف «و «معهد المصالحة» و أنشطة أخرى من بينها الترويج للطبعة الإسبانية و الطبعة العربية لكتاب «ثقافة اللاعنف في الإسلام» للدكتور أحمد الفراك و الذي يشارك معنا في هذه الندوات. كما أننا أعلنا مؤخرا عن برنامج تكويني لفائدة الأشخاص أو المجموعات الذين يرغبون في حضور تدريب حول اللاعنف، والذي يمكِّنهم من الاستفادة من تكوين متكامل ومناسب. نتمنى أن تترجم هذه المادة للعربية في وقت من الأوقات. كما أننا حاليا نعزز النقاش مع مجموعات اجتماعية وديانات مختلفة حول الحاجة الملحة لإشاعة ثقافة اللاعنف في القرن الواحد والعشرين. ونعتقد أن هذا العمل ذو أهمية بالغة.

يشير الواقع بإلحاح بضرورة فتح سبل سلام بين جميع شرائح المجتمع. لقد طوّرنا تجارب وأعمال مع شرائح اجتماعية مختلفة: مع المهاجرين والشباب بشكل خاص، ونحن على ثقة من أن هذا لقاء اليوم يمكنه أن يسهم في تعزيز العلاقات وتبادل الخبرات بيننا.

أدرك أن بعض المسائل التي سأطرحها قد تجيب على هموم الواقع الأوروبي الحالي، والتي قد تختلف عن تلك الموجودة في السياقات الأخرى التي تستمعون إليّ منها. إنني على ثقة من أن المشاركين في هذا التجمع يعرفون كيف يعوضون هذا الاختلاف بمحاولة تكييفه مع واقعهم. جهد أقدره بداية.

في البداية، لابد أن أشرح، سيرا على نهج غاندي، أننا نفهم اللاعنف كتجربة. تجربة ضرورية لكسر ديناميكية العنف التي ترسخت في جميع شرائح المجتمع. لقد تم تطوير هذه التجربة بالفعل طوال القرن العشرين في العديد من الأماكن مع نتائج إيجابية: في الهند مع غاندي وفي باكستان مع عبد الغفار خان، وفي جنوب إفريقيا مع نيلسون مانديلا، وفي الولايات المتحدة الأمريكية مع سيزار شافيز. وفي بولونيا مع اتحاد التضامن، وفي جواتيمالا وتشيلي والبرازيل وإيطاليا والمجر والدنمارك وليبيريا والفلبين... وفي أنحاء كثيرة أخرى من العالم. في كل هذه التجارب قرر مجموعة من الناس مواجهة

سوء استخدام السلطة والقوانين الجائرة والحروب والديكتاتوريات باستخدام استراتيجيات غير عنيفة. قاموا بالمقاطعات والصيام العام، بمظاهرات، بعصيان منظم، و مئات الأشكال الإبداعية،... التي حرمت على نفسها استخدام العنف. بلغ عدد هذه التجارب الآلاف على مدى ١٢٠ سنة الماضية، وقد أدت نجاحاتها ببعض الباحثين إلى إدراك أن اللاعنف هو بالتأكيد الطريقة الأكثر فعالية لحل المشكلات، لأنه يتعارض مع منطق العنف:

أولاً: لأنه بتصميمه على عدم إذلال الخصم، يتجنب الانتقام اللاحق المحتمل، والذي تكرر مرات عديدة في التاريخ.

ثانيًا: لأن العمل اللاعنفي لا يولد وفيات أو دمارًا، أي لا خسائر ولا آثار جانبية سلبية.

لا مجالا للشك، أنه لو كان التقدم الأخلاقي في العالم موازيا للتقدم التقني، فإن اللاعنف اليوم سيكون الطريقة الطبيعية لحل المشاكل. لكن للأسف نحن لسنا في تلك المرحلة وما زلنا نرى كيف تدوي طبول الحرب في أرجاء كثيرة من العالم.

من الواضح أن سباق التسلح المحموم لا يمكن إلا أن ينذر بصراعات وحروب جديدة. تُصنع الأسلحة لتستخدم بالطبع، وتزداد ميزانياتها ضخامة من ناحية أخرى، ويمكننا القول أن منطق الحرب هذا لا يتوافق مع رغبات الغالبية العظمى من الناس على هذا الكوكب. هناك الكثير ممن يريدون السلام، ويريدون نشر ثقافة حقوق الإنسان في جميع أنحاء العالم حتى يتسنى لجميع الناس العيش في ظل أنظمة حرة، ويمكننا ملاحظة أن هذه الغالبية العظمى في العالم لا تستطيع وقف الحروب. لا يمكنها وقف الحروب المتلفزة، ناهيك عن الحروب غير المتلفزة، وهي الأكثر. نحن نرى كيف أن هذه الأمنيات الطيبة غير قادرة في كثير من الحالات على ممارسة الدفاع الفعال عن حقوق الإنسان.

لماذا يحدث هذا؟ لماذا لا تستطيع الأغلبية الاجتماعية في العالم أن توقف تجاوزات الطبقات الحاكمة والمنظمات الدولية؟ كيف يمكننا أن نفسر أنه على الرغم من الأدلة على حدوث كارثة مناخية، من الصعب للغاية اتخاذ قرارات معقولة؟ كيف نفسر أن الدول التي وقّعت على إعلان حقوق الإنسان لا تستطيع أن تضمن حتى الحد الأدنى منها على أراضيها؟

هناك العديد من الأسباب، لكن لا يسعني إلا أن أذكر سببين يبدوان مناسبين لي وأعتقد أنه من المناسب مشاركتهما في هذا المنتدى:

١- تأثير الإعلام: وسائل الإعلام تبرر الحروب وتزوّر تفسير الأسباب الحقيقية الكامنة وراء نشوبها، وتحدد الأطراف المذنبة كما تراها هي. لقد تمكنا من مراقبة هذا والتحقق منه في جميع الحروب التي قررت بها على التلفزيون وأيضًا في تلك التي لا يريدون منا رؤيتها.

هناك عملية تحمل اسم صناعة «العدو» من خلال الرواية والتأثير العاطفي، والحكم غير النقدي، وإخفاء الأسباب والخيارات الممكنة التي تجنبنا الحرب. نحن في أيدي عدد قليل جدًا من وكالات الأنباء والتي تخدم أمراء الحرب، الذين يتاجرون دائمًا بالمعاناة. يمكننا أن نرى الشيء نفسه في قضايا مثل الهجرة، واستغلال العمل أو الإخلاء القصري من السكن...

من ناحية أخرى، نحن في حاجة إلى أن تقوم الأديان، والمثقفون والفرق الاجتماعية بإعدادنا ليس فقط لإدانة الحروب بل لتوقعها قبل كل شيء، لإعداد رأي عام يخبر الأقوياء بأننا لا نقبل ثقافة العنف، والحروب من أقسى مظاهرها. من الواضح أنه يجب علينا بذل جهد أكبر من أجل السلام وتوقع والتنبؤ بحروب قادمة. وينبغي أن يكون الرأسمال الأخلاقي للأديان الكبرى، وأتباعها الذين يعدّون بمئات الملايين في العالم أكثر قوة في مواجهة جميع الاعتداءات على كرامة الإنسان. ماذا يمكننا أن نفعل؟

> «نحن نعتقد اعتقادًا راسخًا أن اللاعنف يمكن أن يكون الأداة التي تساعد في مكافحة وسائل الإعلام الخانعة، لاعتمادها استراتيجيات العنف»

وأيضًا الأداة التي تساعد الناس المؤمنين وغير المؤمنين أصحاب النوايا الحسنة...، على تصميم استراتيجيات قادرة على كسر دوامة العنف. من الضروري البدء في العمل. لا يمكننا الاستغناء عن تجارب اللاعنف التي تعطي شكلاً ملموسًا وعمليا للقاعدة الذهبية: «عامل الآخرين كما تريد أن يعاملوك».

لقد أثبت اللاعنف، كما أشرنا، في بداية هذا العرض فعاليته حقيقة. فما الذي يمنعنا من تعلمه وتطويره؟

ربما نجد عاملا في وسائل الإعلام نفسها، حيث تخفي هذه التجارب ولا تذكرها، أو تنشر روايات تصور اللاعنف شيئا مستحيلا وغير فعال.

٢- برامج التعليم و التكوين لا سيما في الجامعات العمومية التي تعزز القدرة التنافسية وتدعم القوى الاقتصادية والسياسية، ولا تقوم بتعليم هذه الخبرات. يتم نشر فكرة استحالة تغيير النظام الحالي بين الأجيال الصاعدة. وهذا أمر خطير وغير مسؤول بشكل كبير.

وجود هذه العوامل لا يعني أنها لا تُقهر، بل بالعكس، فهي التي

كانت سببا في وجودنا وعملنا، لقد قمنا لسنوات بعمل ثقافي يهدف إلى التعريف بتاريخ اللاعنف. ونعتقد أن العمل الثقافي السابق لا غنى عنه، وهذا ما توحي به العديد من التجارب التاريخية، حيث ساعدت الحركة الثقافية على تهيئ وعي جديد في مواجهة حالات الاضطهاد. فلولا هذه المرحلة السابقة لما كتب لهذه التجارب النجاح. كما نحتاج إلى تعزيز مرحلة الوعي والتكوين الثقافي. وفي هذه اللحظة يبدو من الضروري إقناع المجتمع بإمكانية مكافحة الظلم، وأن هناك أدوات نجحت يمكن إعادة تشكيلها و العمل بها. هذه الثقافة، هذه الأدوات تسمى ثقافة اللاعنف. إنها فلسفة، وهي تكتيك في نفس الوقت. وهي أكثر وسيلة إنسانية للتغيير. **أولاً، لأن الجميع يمكنه الانخراط و المضي قدمًا في اللاعنف. ثانيًا لأن اللاعنف لا يولد أضرارًا جانبية، وثالثًا لأنه يطور عمليًا المبادئ التي تجعلنا بشرًا.**

تطمح فلسفة اللاعنف إلى جلب الحب إلى المجال السياسي. إذا كانت السياسة هي خدمة الصالح العام، فمن الضروري أن يكون الحب هو محرك هذا العمل. فمثلما لدينا جميعًا تقدير إيجابي لقيمة الحب على المستوى الخاص، يجب أن نجده أيضًا في العمل السياسي. يجب أن تكون السياسة خدمة دائما. وهذا يتطلب تجسيد السياسة كعملية محبة. يمكننا ويجب علينا جميعًا المشاركة في السياسة. السياسة مهمة للغاية بحيث لا يمكن تركها للسياسيين المحترفين. السياسة بحاجة إلى الحب. وإلا فإن الفساد سيسود. بهذا المعنى يمكننا تعريف اللاعنف على أنه حب سياسي. ويمكننا جميعًا ممارسة هذا الحب في المجالات المختلفة التي تتطلب منا التزاما.

نحن مدينون لأرسطو بفهم الإنسان على أنه «حيوان سياسي». ادعى الحكيم اليوناني أننا كائنات اجتماعية بطبيعتنا، وبالتالي يمكننا القيام بأعمال نبيلة اتجاه بعضنا. بالنسبة له، كان العيش خارج المدينة ممكنًا فقط إذا كنت «إلهًا أو وحشًا»، لكن ليس كإنسان قطعا. حقيقة تعايشنا في مجتمع لها سبب دقيق للغاية عند فيلسوفنا: أن نعيش حياة طيبة، أي أن نعيش وفقًا للفضائل. وبهذه الطريقة يمكننا الوصول إلى الهدف النهائي للوجود والذي كان بالنسبة لأرسطو السعادة. وفقا لرؤيته. في مجتمع المدينة ينظم المواطنون أنفسهم، مسترشدين بالعقل، لضمان الأمن والاستقرار الاقتصادي والعدالة. وتشكل كل هذه الإجراءات عملا سياسيا. بالطبع، يمكن أن يكون هناك مواطنون لا يريدون ممارسة السياسة، أي المشاركة في الشأن العام. هناك كلمة في اللغة اليونانية تسمّي هذا النوع من الناس: الحمقى أو الأغبياء. إن الحمقى هم الذين لا يريدون التعامل مع القضايا المشتركة، بل يحرصون فقط على مصالحهم الخاصة. تمت دعوة المواطنين في تلك الديمقراطية الوليدة لممارسة السياسة حتى لا يكونوا أغبياء كما هو معروف.!! ومنذ ذلك الحين تم ربط السياسة بالسعي لتحقيق الصالح العام، حتى لو كانت في السياق اليوناني تشير فقط إلى صالح المواطنين الذين كانوا يمثلون في ذلك الوقت أقلية من السكان.

على مر التاريخ نجد تجارب لأنظمة سياسية مختلفة حاولت بطريقة ما إضفاء الشرعية على نفسها بادّعاء البحث عن الصالح العام. ومن الواضح أن العديد من هذه التجارب قد أزيلت جذريًا من الضمير لبُعدها عن هذه الغاية النبيلة، لذلك سرعان ما تم

مكافحتها. عرّف غوتفريد لايبنيز (١٦٤٦-١٧١٦) السياسة على أنها فن الممكن. فتحت هذه الفرضية نقاش سيوصل إلى أيامنا هذه تأملاتٍ مثيرة، مثل تأمل السياسي المحافظ تشارلز موراس (١٨٦٨-١٩٥٢) الذي أكمل صيغة الفيلسوف العقلاني:

> «السياسة هي فن جعل ما هو ضروري ممكنًا. تشير الصيغ الأخرى الأقرب والأكثر استفزازًا إلى أن السياسة هي حقًا فن جعل المستحيل ممكنًا».

على أية حال، سينتهي الأمر بالنشاط السياسي إلى أن يصبح النشاط البشري الذي يستدعي أفراد المجتمع بأكمله لحل مشاكلهم معًا. لهذا السبب علينا جميعًا ممارسة السياسة. لكن ليس بنفس الطريقة.

مما لا شك فيه أن اللاعنف يضفي عمقا وبعد نظر على هذا المطلب، طالما أن مقترحاته مستوحاة من الأسس التالية:

- الوعي بمركزية الفرد. سيؤكد غاندي أنه «ليس لدى القانون ما يقول حين يتكلم الضمير».

- الدفاع عن كرامة الفرد المستوحاة من الضمير الإنساني. لن يقبل أي اقتراح سياسي لا يدافع عن هذه الكرامة. لذلك، وفي مواجهة انتهاكات الكرامة الإنسانية، يجب علينا إحياء الضمير، حتى لو كان ذلك يعني عصيان القوانين.

- أولوية الجماعي على الفردي. هذه هي قوة اللاعنف. في مواجهة الأنظمة السياسية التي تعطي الأولوية لامتيازات النخبة أو الأقلية، يضع اللاعنف المصلحةَ في الصالح العام، مصلحة الأغلبية. لذلك سيدعو دائمًا إلى مجتمع بدون امتيازات.

- اعتبار أو مراعات الأخيرين أي المستضعفين في الأرض (المتواجدين في آخر السلم الإجتماعي). وينبغي أن يكون أولئك الذين يعيشون في ظروف أسوأ نصب أعين السياسة العامة وأن تكون الأولوية لهم.

- أخلاقيات الأعمال المنجزة. يتحقق اللاعنف في أخلاق الذين يمارسونه. نشيط اللاعنف لا يقاتل من أجل نفسه بل من أجل الجميع، لكنه على استعداد لتحمل عواقب أفعاله شخصيًا. دعونا لا ننسى أن مانديلا هزم نظام الفصل العنصري الأبارتهايد وهو ماكث في السجن ما لا يقل عن ٢٧ سنة.

- الدور القيادي لجميع المعنيين. يمكن للجميع المشاركة في اللاعنف: بعض أهم أعمال حركة Martin Luther King لحقوق الإنسان قام بها الأطفال. نتذكر ملالا، وإقبال مسيح. صبِيّان من باكستان ناضلا حتى تتمكن الفتيات من الذهاب إلى المدرسة وحتى لا يباع الأولاد كعبيد في مصانع النسيج. إذا كان بإمكان الأطفال تغيير العالم، فذلك لأنهم استخدموا أسلحة اللاعنف. وكانوا قدوة للعديد من البالغين.

تكتمل الفضائل اليونانية التي أعلنها أرسطو قبل ٢٥ قرنا وتتجاوزها اليوم المساهمات السياسية التي حولت اللاعنف إلى حركة عمالية في القرن التاسع عشر، وتجربة غاندي في النصف الأول من القرن العشرين. اللاعنف لا يشترط البحث عن قائد جيد أو نظام جيد. كما أنها لا تقتصر على إيجاد حلول تقنية وآنية لمشاكل كل حقبة. بل على العكس من ذلك، فهي تتطلع إلى تعزيز مجتمع قادر على القيام بدوره السياسي عن طريق الرقي بضميره الأخلاقي. وبهذه الطريقة، سيكون المجتمع، القوي الأخلاقي واللاعنفي هو الذي سيلهم مختلف أشكال التنظيم التي يتطلع من خلالها إلى أن يكون ديمقراطيًا وعادلاً حقًا.

من الضروري أن نتوقف للتفكير فيما تعنيه استراتيجيات اللاعنف التي مرّت خلال القرن الماضي. تمثل هذه الاستراتيجية بديلاً حقيقيًا لهذا النظام الرأسمالي. الاستراتيجيات التي أحدثت تغييرات من الأسفل والتي لا تزال قادرة على إحداثها اليوم أيضا. تغييرات تجعل العالم أكثر إنسانية بلا شك. يساهم اللاعنف بمفاتيح أساسية أعتبرها ضرورية لكل الذين يدركون اليوم ضرورة تغيير الواقع، هناك سلسلة تغييرات يمكن الإشارة إليها وهي من أكثر التجارب وضوحا في القرن الماضي. وهذه العناصر التي سأذكرها بعد قليل تمثل تراثا أخلاقيا وثقافيا وسياسيا نحن مطالبون بمعرفته وإعادة بنائه.

1. في اللاعنف، الوسائل تسبق الغايات.

كان غاندي يذكر مثلا قديما يقول: «وجود الغايات في الوسائل مثل وجود الشجرة في البذرة». بطريقة ما يعارض هذا المبدأ المبدأ الميكافيلي الذي يعلن أن الغاية تبرر الوسيلة. هناك رؤيتان متضاربتان لفهم السياسة. الأولى، رؤية غاندي بأن الوسائل تتقدم عمليا الأهداف وتعلن عنها. وهكذا تصبح الوسائل النموذج والمثل الأعلى الذي نسعى إليه. كل خطوة على الطريق تضيء الهدف، كل خطوة تسمح لنا بمراجعة معنى هذا المسار، كل خطوة تضمن العدالة والحقيقة. وفي الحالة الثانية، كثيرا ما تختفي العدالة والحقيقة الميكافيلية، كما أظهر التاريخ في مناسبات عديدة، لأن الوسائل لا تحترم كرامة الإنسان. الأول هو طريق اللاعنف لأنه يفترض مسبقًا وسيلة أكثر إنسانية، وواقعية أيضًا، لمواجهة عمليات التغيير الاجتماعي. والثاني هو المسار الإستبدادي الذي اتبعه الكثيرون عبر التاريخ المعاصر.

إذا كنا نتطلع إلى عالم عادل فلا يمكننا استخدام وسائل غير عادلة. لا يمكننا الوصول إلى مجتمع غير عنيف بوسائل عنيفة. لقد سئم التاريخ من إثبات هذا، ومع ذلك لا يزال يعتبر محاولة مستمرة ومنطقا اعتياديا حتى في المجموعات ذات مستوى اجتماعي راقي.

تقع الحروب لأنه يتم إعدادها بشكل دائم ومستمر. لقد بنينا منظومات وأسواق للحرب. وهذا يؤدي إلى إمكانية واختيار حمل السلاح أمام الظلم ولمواجهة الصراع. والحروب ترتبط ارتباطا مباشرا بمصالح شركات الأسلحة. ولو قمنا ببناء منظومات للسلام، لكان الإعداد والموارد اللازمة كافيا لضمان السلام. وترتبط الحروب ارتباطا مباشرا بمصالح شركات الأسلحة.

ستعتني الاستراتيجية اللاعنفية بوسائل الإعلام باعتبارها أهم شيء، باعتبارها الطريقة الأكثر فعالية لجعل اقتراحنا ذا مصداقية. إنها الوسيلة التي تجعل الغايات ذات مصداقية وفي نفس الوقت تغذي الرغبة في الوصول إلى تلك الغايات. إنها الوسائل التي نستخدمها والتي تسمح لنا بالسير بموضوعية، فهي أفضل دعاية. إذا كانت هذه الوسائل تعني حياتنا اليومية، فنحن نقول إننا ملتزمون بمهمة تشمل كل الحياة. إذا تم بناء هذه الوسائل بيننا هذا يعني أننا نستطيع بناء بدائل معا.

إذا لم تكن هذه الوسائل بحاجة إلى دعم من الدولة أو الشركات، فهذا يعني أننا لسنا بحاجة إلى الدعم الاقتصادي من أي جهة ذات تأثير. إذا كانت هذه الوسائل تعتني ببناء البطولة عند الناس، فهذا يعني أننا نتطلع إلى ثورة يقودها الجميع... ولذا يمكننا تحديد خصائص الوسائل التي تتقدم بالفعل وتجعل الغايات موثوقة.

2. نبذ حب الانتصار

يبدو جنونًا، شيئًا مستحيلًا في نظر أولئك الذين يكبرون وهم يغذون المواجهة، ومع ذلك فهو احتمال حقيقي للتغلب على الصراعات بشكل إيجابي. اقتراح نبذ الرغبة في الانتصار يعني العمل على تقريب الخصم. إن جعل العدو متعاونًا، وإذا أمكن، صديقًا هو انعكاس جذري للمنطق الذي تشكلنا من أجله. صرح مانديلا بوضوح أن أفضل طريقة لهزيمة العدو هي جعله صديقًا، باجتناب إراقة الدماء، ووضع هذه العقيدة موضع التنفيذ يعطي نتائج نعرفها جميعًا. مع هذه الفرضية، يشير اللاعنف إلى ثقافة تؤكد على الأخوة كخطوة لضمان الحرية والمساواة. ليس من الصدفة أن تغيب الأخوة من شعار الثورة الفرنسية، فهي أساس تحقيق القيمتين الأخريتين: الحرية الدائمة والمساواة الحقيقية.

« إن نظرتنا السلبية جدا لخصومنا تقودنا بسهولة إلى الاعتقاد بأنهم يستحقون معاملة غير عادلة ويستحقون أن ننتقم منهم. »

إنه اتجاه دعانا اللاعنف دائمًا للتغلب عليه. وهو محق في ذلك. لا يتعلق الأمر بكراهية العدو ولكن بكراهية شر أفعاله. في النهاية، سعت تجارب اللاعنف العظيمة إلى تحرير المضطهدين وتحرير الظالم أيضًا من ظلمه في نفس الوقت. هذا ما كان يؤمن به مارتن لوثر كينج و مانديلا بشدة، نادوا الرجال البيض الذين اضطهدوهم

بالإخوة. في كلتا الحالتين لم تكن الغاية الانتصار على الخصم وإنما الانتصار على الاضطهاد.

الانتصار لا يكسر دوامة العنف أبدًا، لذلك فهو ليس حلاً صلبًا ودائمًا. و قد صرخ م. ل. كينج أمام شرطة مكافحة الشغب التي منعت مظاهرات حركة الحقوق المدنية: «في مواجهة قدرتك على توليد المعاناة، سنتغلب عليك بقدرتنا على تحملها. سنحبك» ولم يكن من ردّ فعل الكثير من رجال الشرطة سوى التخلّي عن أسلحتهم ودروعهم ورفضوا قمع المظاهرات.

من الضروري أن نتعلم هذا المنطق، الذي نشهده بالفعل في الصراعات الصغيرة في كل يوم، يجب استيعابه جيّدا. من المهم أن نمارسها في الصغر حتى نمتلك التحكم في شعورنا و نستطيع تطبيقها في الصراعات الكبيرة إذا احتاج الأمر.

3. تعزيز الوحدة

تمثل استراتيجية أساسية أخرى للاعنف في مواجهة فخاخ الانقسام التي تنصبها لنا السلطة وذلك بتعزيز حركة معاكسة ترسخ الوحدة.

يجب أن أكرر: الانقسام هو سبب العنف ونتيجته في نفس الوقت، فاسم الشيطان في معناه الأصلي -ديابلوس باللاتينية- هو من يفرّق، وعكسه الرمز -سيمبولوس- ما يوحد. اللاعنف رمزي، إنه يسعى للوحدة. إنه لا يبحث عن منتصرين ومهزومين. إن استمرارية المنتصرين والمهزومين تطيل الحرب دائما. نحن لن ننضج حقًا كمجتمع حتى نفهم أن «الانتصار على إنسان آخر أمر مرير مثل الهزيمة»، كما تقول إديث شتاين. وبهذا المعنى، فإن المستجد الجذري للاعنف هي أنها تشير إلى عالم بدون منهزمين أو منتصرين. عالم يتخلى عن الانتقام بالنضج على الرغم من أن جزءًا من طبيعتنا البشرية يدعي حقه في ذلك. اللاعنف يتجاوز الطبيعة الغريزية. إنه أخلاقي، إنه روحي. ولذلك فثقافة اللاعنف تفهم وتعزز بحيوية قيمة الوحدة.

يجب أن نخطط لإمكانيات للالتقاء، ومد الجسور، كعنصر جوهري يسمح بالتفكير وتجربة نوع آخر من مبادرات التدافع المباشر.

يجب علينا أيضًا تعزيز الوحدة الداخلية، وحدة كياننا. من الفئات الكلاسيكية المقبولة على نطاق واسع، نؤكد أننا جسد وعقل وروح. بصفتنا بشرًا، نحن مدعوون لتطوير إمكانياتنا كاملة. علينا أن نبني مشروعا بشريا وسياسيا مثل المشروع الذي يحمله «اللاعنف»، ونسعى إلى تطوير الأبعاد الثلاثة السالفة الذكر. وإلا فلن تكون هناك وحدة داخلية، وبالتالي لن توجد وحدة اجتماعية أيضًا و في هذا مخاطرة. لأن أولئك الذين يولون الأهمية للجسم أولا سينتهي بهم الأمر إلى إعطاء الأولوية للعمل الميداني باعتباره الشيء المهم الوحيد. وهذا حال النشطاء الحركيين الذين يمكن أن ينتهي بهم الأمر بالإجهاد في عمل عقيم، غير مبني على أساس. المجموعة التي تروج لأهمية العقل ستصبح فئة من المفكرين والمنظرين الذين يعتبرون أن الأفكار هي الأهمّ، وعالم الأفكار بعيد جدا على أن يكون ملموسًا في الحياة الواقعية. ومجموعة ثالثة، ممن يضعون اليد على الروح يصبحون مثاليين ويرسمون آفاقًا طوباويًا منفصلة عن المسارات التي تحتاج سفرا طويلا للوصول إليها. ونعتقد أن هذه الفئة أصبحت تمثل الأغلبية في الآونة الأخيرة. وهكذا نجد مجموعات من النشطاء يقومون بأعمال عديدة ولكنهم لا يولدون فكرة أو رؤية. من ناحية أخرى، نرى مثقفين يقدمون تحليلات معينة للواقع ولكنهم بعيدون عن المشاركة الشخصية المستمرة في العمل. ويمكننا أيضًا ملاحظة مجموعة ثالثة من الأشخاص الذين تستهلك جهودهم كل طاقاتهم في الحديث عن المثل العليا.

عادة ما يكون لهذه المجموعات نشاطاتها الخاصة ولا يكاد يكون بينها أي تعاون. وهذا يمنع صراعًا طويل الأمد.

بالنظر إلى هذا المشهد ليس من الصعب استنتاج أن هذا المنطق يفرض انقسامًا داخليًا للصراعات الاجتماعية. اللاعنف يميل نحو الوحدة على جميع المستويات. يجب على كل واحد منا تطوير كل إمكاناته. نحن جسد وعقل وروح، وبالتالي نحن مدعوون لأن نكون نشطاء ومثقفين ومثاليين. الثلاثة دفعة واحدة. من الواضح أن الصفات الفطرية توجه كل منا في اتجاه مختلف، وبهذه الطريقة يكون البعض أكثر نشاطًا، والبعض الآخر أكثر تفكيرا والبعض الآخر أكثر مثالية. هذه ليست مشكلة. المشكلة هي تغييب الجهد الشخصي لتنمية تلك المهارات. إن الجهد الشخصي والجماعي في العمل على تحقيق الإنجازات في كل المراحل، في التحليل والتنظير والحركة، ما يجعل منا تجمعا إنسانيا يؤثّر في المجتمع ويأتي بنتائج في الواقع. لا شك أن الأفراد والجماعات الذين يبذلون جهدًا في هذا الاتجاه سينسجمون مع ثقافة اللاعنف. أولئك الذين لا يتعرضون لفخاخ متعددة قد تتعرض نتائج أعمالهم للخطر على المدى الطويل. غالبا ما يزيغ النشطاء الحركيون على طريقهم بسهولة شديدة، ويميل المثقفون إلى بيع أنفسهم لإمبراطوريات التواصل العظيمة والتورط في النظريات، ويلجأ المثاليون إلى مجموعات تقاربهم وفي الرسم الأبدي للمدينة الفاضلة.

طبيعتنا تصرخ بأننا وحدة. تُظهر مراجعة صادقة للصراعات الاجتماعية، أن المجموعات التي تقدمت حقًا في تحقيق أهداف تغييرية، سعت بطريقة ما إلى أن يطور أعضاؤها الإمكانات والعناصر الثلاثة. تشهد المجموعات الأكثر قوة في الحركات العمالية والعديد من تجارب اللاعنف في القرن الماضي على هذه الحاجة إلى الوحدة.

4. حب الحقيقة

«الحقيقة لا تضر أبدا قضية عادلة». مبدأ آخر لغاندي يحتوي على واحدة من أكثر الخصائص المثيرة للجدل اليوم. تريد النسبية والذاتية المهيمنة محاصرة الحقيقة دون أن تدرك الانتحار الذي تنطوي عليه. القول بأن للحقيقة وجوها مختلفة، وأنه قد لا يملكها أحد، وأنها تخضع إلى لحركية الواقع لا يصلح ولا يجوز أن يقودنا إلى إنكار وجود الحقيقة. يظل البحث عنها أمرًا أساسيًا لأولئك الذين يعانون من الظلم وغير مهمة لأولئك الذين يستفيدون من الظلم بطريقة ما.

ما يسمى بما بعد الحقيقة والاختراعات المماثلة لها تساهم جدريا في ترك المجال مجانا لبناة «الحقائق» ليجعلونا نؤمن بحقائقهم المزيفة كما لو كانت نتاج تفكيرنا وتحصيلنا نحن. تنمو تجمعات اللاعنف عندما تجعل البحث النشط عن الحقيقة هدفها الأساسي. اللاعنف ليس أكثر من البحث عن الحقيقة. الإمبراطورية التي تبرر الحروب والسيطرة الاجتماعية تحتاج إلى الكذب والتزييف لتحافظ على نفسها. الحقيقة المؤسفة والمزعجة في الآن نفسه هي أن الضحية الأولى لجميع الحروب هي الحقيقة نفسها.

5: تعلم العصيان

إنه التحدي الكبير في المستقبل. العديد من القوانين المكتوبة وغير المكتوبة تكرس وتطيل الظلم. إنه واجب أخلاقي أن نعصيها وأن نكون على استعداد لدفع ثمن عصياننا. العصيان المدني في فكر وحركة اللاعنف هو عمل من أعمال الحب. وهو يحتاج إلى كل الصفات المذكورة سابقا. العصيان هو قول نعم وقول لا. إنها مقاومة والتزام في نفس الوقت. العصيان من اللاعنف هو فعل حب.

لقد انتهت السلطة وتعلمت من تاريخها في اضطهادها للمقاومين الرافضين لجبروتها واختاروا العصيان لدوافع أخلاقية. ولأنها كانت تخرج منهزمة أمام الرأي العام باضطهادها للمعارضين العصاة، أدركت في الآونة الأخيرة أن محاولة توجيه هذا العصيان سيكون أكثر فعالية من مطاردته وجهاً لوجه. تحتاج السلطة إلى خلق معارضة مسموح بها شرط ألا تصل إلى عمق المشاكل، وبالتأكيد لا تروج لثقافة معارضة جذرية.

إنه تحد كبير أن نعصى نظاما لديه وسائل بها يسعى للسيطرة على الضمائر. قد تبدو مهمة عملاقة، ومع ذلك فإن النضال قام به دائمًا المستضعفين الذين يبدون بلا حول ولا قوة، أولئك هم الذين جسدوا روح اللاعنف، وأولئك الذين وجدوا القوة للانتفاضة من الأسفل.

لا شك أننا إذا ركزنا على عملنا اليومي، ومهنتها، ومساحتنا القريبة، فسنجد بسهولة أسبابًا للعصيان وبالتالي لتمهيد طريق الأخوة.

لقد خدمت هذه المفاتيح الخمسة - وأعتقد بصدق أنها يمكن أن تخدمنا جميعًا- الذين يريدون اتخاذ خطوات في نهج اللاعنف. من الضروري اختبارها يوميًا شخصيًا وجماعيًا، وبهذه الطريقة نستطيع اكتشاف كيف يمكن أن تساعدنا على أن نكون أفضل وأن نتخذ مبادرات أفضل لإضفاء الطابع الإنساني على الواقع.

في الختام، أريد أن أذكر عبارة غاندي التي يقول فيها: «قد نعتقد أن ما يمكننا القيام به ضئيل للغاية، لكن من الضروري أن نفعل ذلك القليل».

نأمل أن نشجع أنفسنا على القيام بذلك، مهما كان صغيرًا، يتعين علينا القيام به وأن نقوم به برفق ولا عنف.

الورشة الخاصة:
ورشة العمل الخيري

د هاني البنا. بريطانيا
مؤسس الإغاثة الإسلامية
رئيس المنتدى الإنساني العالمي

مقدمة

خلق الله سبحانه وتعالى الإنسان، وأمره بإعمار الأرض وإصلاحها، ونشر قيم الخير والفضيلة فيها، والتعاون على البر والتقوى، والسعي بالعمل الصالح المادي والمعنوي خدمة للمجتمعات الإنسانية، ووفاء بالوظيفة الاستخلافية، قال تعالى موجها للخلق مرغبا لهم في الخير:» لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا»[1].

والآية وإن نزلت في أمر خاص إلا أن حكمها يعم الجميع. فهي تبين أن أكثر ما يتناوله الناس في أحاديثهم من القيل والقال لا خير فيه، ولا فائدة من ورائه، وأن أحسن الحديث الذي ينبغي أن يشغل المسلمون أنفسهم به هو حديث البر والمعروف وإصلاح ذات البين، وذلك بقصد حضهم على الاتجاه وجهة الخير، وتنفيرهم من الاتجاه وجهة الشر، فيما يتبادلونه من آراء وأفكار، حيث إن الفكر عادة هو الذي يدفع إلى العمل، فإذا كانت أحاديث الناس ومحاوراتهم تنحو نحو الهدم اتجهت أعمالهم للهدم لا محالة، وعلى العكس من ذلك إذا كانت مشاغلهم الفكرية تنحو نحو البناء اتجهت أعمالهم إلى البناء بدل الهدم...[2].

والأمور المستثناة في الآية الكريمة كلها أمور يتعدى نفعها للآخر وتسهم في قيام المجتمعات واستقرارها واستمرارها ونموها وسعادتها، وتمتين أواصر المحبة والرحمة بين أفرادها ومد جسور التعاون بينها.

فالأمر بالصدقة فيه إعانة للمحتاجين ومواساة للفقراء والمساكين، من اليتامى والأرامل والعجزة وذوي الاحتياجات الخاصة والمهجرين والمرضى وسائر المحرومين من حقوقهم الإنسانية، التي تضمن الحياة الكريمة لهم، وترسم الابتسامة على وجوههم.

والأمر بالمعروف يشمل كل ما فيه مصلحة عامة أو خير عام، يستحسنه الشرع، ويوافقه العقل، كالقرض، وإغاثة الملهوف، وتعليم الجاهل، وإرشاد الضال[3].

أما الأمر بالإصلاح بين الناس فأثره لا يخفى على ذي بصيرة من الخلق. لأنه يستل الحقد والكراهية من القلوب، ويبني الثقة وينشر ثقافة الاعتذار والاعتراف ورد الحقوق...

والمتأمل في الآية يجد أن الكلام جاء مبنيا على الأمر لكن الجزاء رتب على الفعل «وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً» قال الإمام البيضاوي: بني الكلام على الأمر ورتب الجزاء على الفعل ليدل على أنه لما دخل الآمر في زمرة الخيرين كان الفاعل أدخل فيهم، وأن العمدة والغرض هو الفعل واعتبار الأمر من حيث إنه وصلة إليه...»[4]، أما الإمام الرازي فاعتبر الآية جامعة للخيرات، بقوله وإنما ذكر الله هذه الأقسام الثلاثة؛ وذلك لأن عمل الخير إما أن يكون بإيصال المنفعة أو بدفع المضرة، أما إيصال الخير؛ فإما أن يكون من الخيرات الجسمانية وهو إعطاء المال، وإليه الإشارة بقوله: «إلا من أمر بصدقة»، وإما أن يكون من الخيرات الروحانية، وهو عبارة عن تكميل القوة النظرية بالعلوم، أو تكميل القوة العملية بالأفعال الحسنة، ومجموعهما عبارة عن الأمر بالمعروف، وإليه الإشارة بقوله: «أو معروف»، وأما إزالة الضرر فإليها الإشارة بقوله: «أو إصلاح بين الناس» فثبت أن مجامع الخيرات مذكورة في هذه الآية[5]. التي يمكن أن نعتبرها الأساس والموجه للعمل الإنساني الخيري في جميع أبعاده ومجالاته واهتماماته.

ونظرا لأهمية هذا الموضوع، وثرائه، وأثره، قسمته في هذا العرض إلى:

المحور الأول: مفهوم العمل الإنساني الخيري والمفاهيم المرتبطة به.

المحور الثاني: أهمية العمل الإنساني الخيري ومجالاته وأدوار مؤسساته.

المحور الثالث: العمل الإنساني: الأخلاقيات والقوى الناعمة.

المحور الرابع: الدبلوماسية الشعبية والدبلوماسية الإنسانية.

المحور الخامس: آفاق جديدة.

خاتمة: خصصتها لأهم النتائج والتوصيات.

والله نسأل أن نكون قد وفقنا إلى الصواب وأن يجعل عملنا خالصا

---

١ –سورة النساء الآية ١١٤.

٢ –التيسير في أحاديث التفسير، محمد المكي الناصري(ت١٤١٤هـ)، دار الغرب الإسلامي، بيروت–لبنان، ط١، ١٩٨٥، ج١، ص٣٨٢–٣٨٣.

٣ –البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، الإمام ابن عجيبة الحسني (ت١٢٢٤هـ)،تحقيق عمر أحمد الراوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ج٢، ص٩٩.

٤ –أنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف بتفسير البيضاوي، الغمام البيضاوي(ت٦٨٥هـ)، تحقيق محمد عبد الرحمان المرغشي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط١، ج٢، ص٩٦.

٥ –مفاتيح الغيب، الإمام فخر الدين الرازي (ت٦٠٦هـ)، دار التراث العربي، بيروت، ط٣، ١٤٢٠، ج١١، ص٢١٨

لوجهه الكريم، فإن الجهد البشري لا يخلو من الخلل والنقص، والحمد لله رب العالمين.

المحور الأول:

مفهـوم العمـل الإنسـاني الخيـري والمفاهيـم المرتبطـة بـه

أولا- العمل الإنساني: المفهوم والموجهات

مفهوم العمل الإنساني:

إن من أهم ما تجدر الإشارة إليه هو أن العمل الخيري عمل إنساني، إذ هو عمل لا يعرف الآراء الشخصية ولا الانتماءات الحزبية ولا الفكر الأحادي.. لأنه عمل إنساني شمولي يسع الجميع.

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فِي كُلِّ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ»[٦]، وأمرنا الله عز وجل بالإحسان إلى الأسير، وهو الذي كان عدوك ومحاربك قبل الأسر، قال تعالى: «وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا»[٧]، وقد كان هذا الخلق الرحيم «إكرام الأسرى » الذي وضع أساسه القرآن الكريم أثر في إسراع مجموعة من أشراف الأسرى وأفاضلهم إلى الإسلام، وعاد الأسرى إلى بلادهم وأهلهم، يتحدثون عن محمد صلى الله عليه وسلم ومكارم أخلاقه، وعن محبته وسماحته وعن دعوته وما فيها من البر والتقوى»[٨].

موجهات للعاميلن في العمل الإنساني:

أ- ألا يتلونوا بلون سياسي أو عرقي أو حزبي أو طائفي... لأنه قد يعوق العمل الإنساني، ويحول دون تحقيق رسالته السامية في المجتمعات الإنسانية.

ب-أن يحتفظوا بآرائهم الشخصية لأنفسهم، لأن عرضها قد يؤدي إلى انقسام المجتمع وتمزيق نسيجه، والعامل في المجال الإنساني لا بد أن يتصف:

*بالتجميع والتوحيد لا التفريق والتشتيت.

*بالتبصير لا بالتضليل.

*بالتوجيه لا بالتغييب.

ج-العمل على تحويل طاقات غضبهم إلى طاقة إيجابية للمجتمع، تسهم في بنائه ونفعه وتوحيده وتقوية نسيجه، والسعي في إصلاحه ولملمة شتاته، وهذا جزء مهم من رسالة عمال العمل المجتمعي.

ثانيا: تحديد بعض المفاهيم المجتمعية المرتبطة بالعمل الإنساني

لابد لمن يشتغل في العمل الإنساني الخيري أن يدرك ويميز بين مجموعة من المفاهيم منها:

أ-المواطن المدني: هو كل مواطن لا يعمل في القوات المسلحة والقوات البحرية والبوليس والدفاع المدني(رجال الإطفاء). أو كل مواطن لا يرتدي الزي العسكري أو الأمني، ويعتبر رجال الدين مواطنين مدنيين. أما رجال الاستخبارات وأمن الدولة والمباحث فهم ليسوا

٦ –صحيح الإمام البخاري، كتاب الشراب والمساقاة، باب فضل سقي الماء. صحيح الإمام مسلم، كتاب السلام، باب سقي البهائم المحترمة وإطعامها.

٧ –سورة الإنسان الآية ٨.

٨ – السيرة النبوية عرض وتحليل أحداث، الدكتور علي محمد الصلابي، دار المعرفة، بيروت– لبنان، ط ٧–٢٠٠٨،ص٤٣٠.

مواطنين مدنيين.

ب-المدنية: هي الثقافة، الفلسفة، النهضة والتقدم الذي يصنعه المواطن المدني.

ج-موظف مدني: هم كل العاملين في المجالات الحكومية وغير الحكومية بعيدا عن الإدارات الأمنية، العسكرية، البحرية والاستخباراتية.

د-المجتمع المدني: هو مجتمع كافة المواطنين، يديره المواطنون المدنيون ومؤسساتهم، ويسهر على حماية مواطنيه قوات الأمن ويحمي حدوده

لهذا ينبغي لمن نصب نفسه لهذه المهمة أن يستشعر حجم المسؤولية الملقاة على عاتقه، باعتباره سفيرا للفقير، المحتاج، الأرملة، المهجر، اليتيم، الطفل المغتصب...

وينبغي عليه:

الارتقاء إلى مستوى هذه المسؤولية وربطها بالمصير الأخروي أولا، وبالسعادة الدنيوية ثانيا. قال تعالى» لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا»[1]. وقال عليه السلام: « قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا نَفَّسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ »[2].

*إدراك أن الفشل في هذه السفارة هو ضياع لحقوق «أصحاب الحقوق».. وضياعها يعني استمرار البؤس والحزن والانكسار النفسي...

*الإحساس أن العمل الخيري والإنساني والاجتماعي روح وحياة ونور وضياء في قلوب العاملين وأصحاب الحقوق.

*الحذر تحويل ونقل العمل الإنساني الاجتماعي الخيري إلى عمل تجاري إعلامي...لا فيه روح ولا حب ولا مستقبل ولا تكامل ...

ثانيا: العمل الإنساني والقوى الناعمة

إن الحديث عن القوى الناعمة في العمل الإنساني وأهميتها وتأثيرها وتوجيهها وتأطيرها يقتضي:

وقفة نتفكر فيها في منهجيته وآلياته للوصول لنتائجه المرجوة.

٢-تحديد معالم هويتنا الثقافية وشخصيتنا التي « يحبها، يخشاها، يكرهها، يحرص عليها، أو لا يعرفها» الآخرون ونقيم علاقاتنا مع الجهات المختلفة وكيف يفهموننا وكيف نفهمهم.

٣-أن القوى الناعمة مفهوم يشمل ويضم مجموعة كبيرة من الوسائل والآليات: الإعلام، الأدب، الفن، الثقافة، الأزياء، الطعام،

١ –سورة النساء الآية ١١٤.

٢ –صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر.

الرياضة، التكنولوجيا، الشركات التجارية العابرة للقارات، اللغة، التعليم....

مع ذلك يبقى العمل الإنساني أهم قوة ناعمة في المجتمعات لأنه يستطيع الدخول إلى جميع الأماكن بما فيها أماكن النزاعات والحروب والصراعات... فالعمل الإنساني قوة بانية لجسور المحبة والمواساة، مؤثرة في الإنسانية مصححة للمسار تصورا وتصرفا.

ثالثا: القوى الناعمة للإسلام والزكاة(التمويل الإسلامي للعمل الخيري الدولي)

الزكاة عمود بناء وتنظيم وصناعة القوى الناعمة للإسلام، فبالزكاة نستطيع:

بناء ثقافة وفلسفة وفنون وآداب وإعلام.

ترسيخ القيم، تأطير المبادئ، صناعة التاريخ.

بناء ثقة الشعوب في الدين وتقوية الترابط المجتمعي بين ا لمجتمعا ت .

بناء مؤسسات المجتمع المدني الإسلامي وبث روح رسالة الإسلام ونشر إنسانية الإسلام فالعالم لا يستطيع أن يتقدم ولا أن يعيش بدون الإسلام، فالإسلام ملاذ كل المجتمعات الإنسانية[٣].

بناء قيادات المستقبل وصناعة نجوم إنسانيين.

بناء ثقة الشعوب في المؤسسات الإسلامية وإبراز قيمة السنة والأحاديث النبوية والدين.

محاربة التطرف والصدام والانغلاق والتشدد والإرهاب.

المحور الرابع:

الدبلوماسية الشعبية والدبلوماسية الإنسانية

أولا: الدبلوماسية الشعبية

يمكن أن نتناول هذا المفهوم المهم من خلال مجموعة عناصر كالآتي:

١-التعريف: حركة طوعية طبيعية غير حكومية لمجموعة من فئات الشعب المختلفة، الجمعيات غير الحكومية، الرموز، القيادات المجتمعية، لتبني قضية وطنية محورية من قضايا الوطن.

الرؤية الاستراتيجية: بناء تحالفات شعبية بين فئات الوطن الواحد ومثيلاتها في الأوطان الأخرى.

الرسالة: نشر الوعي المجتمعي، الحقوقي، الإنساني والسياسي... بين فئات المجتمع المختلفة.

الهدف: كسب تأييد القوى الشعبية الوطنية لأهداف قضيتهم المحورية. ومن بعدها كسب التأييد الشعبي والرسمي في الدول الأخرى.

المعايير : الحيادية، الاستقلالية، الشفافية، التكامل، التواصل، التشبيك مع مثيلاتها، ورجالات الأعمال الوطنيين.

التمويل: ذاتي من بين أفرادها، الجمعيات غير الحكومية، النقابات، الاتحادات غير الحكومية ورجالات الأعمال الوطنيين.

المحاذير: كالتسييس أو اتباع الأجندات الحكومية.

٣ -لمزيد من التفاصيل في هذه النقطة يرجى الرجوع إلى كتاب « الإسلام ملاذ كل المجتمعات الإنسانية» للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي رحمة الله عليه.

ثانيا: الدبلوماسية الإنسانية

هي من أقوى الدبلوماسيات الناعمة القادرة على إحداث التغيير المناخي للمجتمعات، وتحويلها لمجتمعات أخرى أكثر شمولية وانفتاحية، لأن قواعدها تقف في مصلحة الإنسان، تعبر عن عالمية الرؤية ومحلية التنفيذ. لهذا قد تكون حلا لعدد من التحديات التي تواجه المنظمات الإنسانية لاسيما في مناطق النزاع. كما أن العاملين فيها قد راكموا جملة من الخبرات المؤسسية التي تؤهلهم للاضطلاع بمثل هذه المهام.

المحور الخامس:

آفاق جديدة

تجدر الإشارة أن للعمل الإنساني الخيري آفاقا جديدة وواعدة يمكن للعاملين فيه أن يبدعوا من خلالها أشكالا و أنماطا وتجارب ناجحة.

نذكر من هذه الآفاق ما يلي:

١-الاستثمار في أقسام الدراسات والبحوث، لأن التقدم رهين بدراسات وأرقام دقيقة تشخص الوضع وتقترح العلاج.

٢-تغيير الوصف الوظيفي الجديد للعاملين في العمل الخيري.

٣-إنشاء إدارة السلوكيات الأخلاقية في العمل الإنساني.

٤-تكوين الكتل الحرجة والأفراد الحرجين خاصة وأن مجموعة من الدول التي تنعدم أو تقل فيها الحرية لا تسمح بتكوين هذه الكتل التي تؤثر على الحكومات والأنظمة.

٥-بناء قيادات المستقبل، لأن استمرار العمل الإنساني ومراكمة التجارب فيه رهين بتكوين الجيل الثاني والثالث وتأطيرهم وتوجيههم وإلا كانت المؤسسة عقيمة.

٦-إبراز دور الشباب والنساء في العمل الإنساني قديما وحديثا، لارتفاع نسبتهم ولحيويتهم، واستحضار خصائص كل العاملين في العمل الإنساني فالمرأة لها خصائص تختلف عن الرجل وهذا الأخير يختلف عن الشاب، فالمرأة مثلا كان لها دور ريادي في التربية والتوجيه والتعليم والمواساة وتضميد الجراح...وتاريخ الأمة حافل بالنماذج والأمثلة قديما وحديثا.

٧-بناء الائتلافات والاتحادات والتكتلات ومجموعات الضغط المناصرة لأصحاب الحقوق.

٨-صناعة الثقافات والقيم والفلسفات، بدل الاكتفاء بثقافة الاستهلاك لما يتم إنتاجه من الغير دون تمحيص ولا تفكير، وهذا نوع من التخلف والتقليد والتبعية العمياء، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:» لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ شِبْرًا بِشِبْرٍ وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ حَتَّى لَوْ دَخَلُوا فِي جُحْرِ ضَبٍّ لَاتَّبَعْتُمُوهُمْ قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ آلْيَهُودَ وَالنَّصَارَى قَالَ فَمَنْ»[٤].

٩-تأطير قوانين المستقبل، لأن العمل الإنساني لا يقتصر على تقديم الطعام والشراب واللباس بل يحتاج إلى وضع قوانين مؤطرة، خادمة لأصحاب الحقوق بانية للحضارة الإنسانية،

١٠-لا بد من معرفة التاريخ وكتابته بأيدينا لا بأيدي غيرنا كما وقع ويقع.

خاتمة:

بعد هذا العرض الموجز إليكم بعض النتائج والتوصيات والمقترحات:

١-العمل الإنساني روح وحياة ورسالة وقيمة.

٢-ترشيد العمل الإنساني ينبني على الإيمان به وعلى العلم والمعرفة والصبر أثناء أدائه والإصرار على حمل رسالته.

على الإيمان والعلم والمعرفة

٣-العمل الإنساني لا يقبل الملل ولا اليأس لأن صاحبه يحمل رسالة إنسانية سامية للخلق.

٤-العمل الإنساني لا يقتصر على العمل الإغاثي فقط بل له مجالات أخرى من الأهمية بمكان.

٥-التحذير من تحويل العمل الإنساني إلى عمل سياسي أو عرقي أو

٤ –صحيح الإمام البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل. صحيح الإمام مسلم، كتاب العلم، باب اتباع سنن اليهود والنصارى.

ذ داوود حسن . تركيا
صحفي وإعلامي

ورشة الكتابة

كيف ننشر قيم: السلم - الرحمة - التعاون؟

قال الشاعر:

وما من كاتب إلا سيفنى ... ويبقى الدهر ما كتبت يداه

فلا تكتب بكفك غير شيءٍ ... يسرك في القيامة أن تراه[1]

عرفت البشرية الكتابة بالتدريج منذ زمن بعيد، وكان لهذا الاكتشاف أثر بالغ على حياة الإنسان، الاجتماعية، الاقتصادية، السياسية والتعليمية... يقول صاحب قصة الحضارة في شأن الكتابة المسمارية « إن الكتابة المسمارية أعطت ولا شك، القوة للناس الذين كانت لهم المهارة لاستعمالها. وأنها ساعدت الكهان وكتبة القصر على إحكام سيطرتهم ونفوذهم، حيث أصبح بإمكانهم تدوين سجلات حسابات مخازنهم بكفاءة، وتنظيم قوائم أسمائهم وأراضي وممتلكات الناس والضرائب...والكتابة أعطت قوة للملك الذي يبعث رسله بأوامره وقراراته إلى عماله ومرؤوسيه...وأدت الكتابة إلى فائدة أخرى...وهي تدوين الأساطير والقصص...[2].

وزادت أهمية الكتابة مع ظهور صناعة الورق والطباعة وتطور الصحافة وتنوع وسائل النشر، فأصبحت المجتمعات التي تتقن الكتابة تمتلك قوة معنوية مهمة تستطيع من خلالها توثيق تجاربها وخبراتها وتطويرها ونقلها للآخرين للتأثير فيهم والاستفادة منهم.

قال الشاعر:

إن الكتابة رأس كل صناعة ... وبها تتم جوامع الأعمال[3]

ولأهمية موضوع الكتابة قسمت الحديث في هذا العرض إلى محورين وخاتمة.

المحور الأول: أهمية الكتابة في حياة المجتمعات والأمم

المحور الثاني: الكتابة: أخلاق، ضوابط ومراحل

خاتمة: نخصصها للنتائج والتوصيات

المحور الأول: أهمية الكتابة في حياة المجتمعات والأمم

للكتابة أهمية خاصة في حياة الأفراد والمجتمعات والأمم، بها تستطيع كل أمة أن تحفظ تاريخها وحضارتها وثقافتها، وسائر العلوم والفنون والتجارب التي راكمتها وطورتها وبرعت فيها على مر التاريخ وامتداد الجغرافيا.

فالكتابة مكنت الأمم والشعوب البعيدة من التواصل بينها ومد الجسور وتبادل الخبرات والمنافع والخبرات، وحل النزاعات وتدبير الاختلافات، ونقل الأفكار والآراء والتعبير عن المواقف ووجهات النظر والتأثير والتأثر.

ومكنت الأفراد من التعبير عن مشاعرهم وخواطرهم ومكنونات نفوسهم، وصقل مواهبهم وتقوية القدرة على الإبداع في الكتابة بمختلف أنواعها، لهذا يعد اكتشاف الكتابة من أهم الإنجازات الإنسانية عبر التاريخ.

قال ابن خلدون في شأنها: «تُطلِعُ على ما في الضمائر وتتأدى بها الأغراض إلى البلد البعيد، فتقضى الحاجات، وقد دفعت مؤونة المباشرة لها، ويطلع بها على العلوم والمعارف وصحف الأولين، وما كتبوه في علومهم وأخبارهم، فهي شريفة بجميع هذه الوجوه والمنافع. وخروجها في الإنسان من القوة إلى الفعل إنما يكون بالتعلم»[4].

ولأهميتها ووظيفتها قال العرب قديما: «القلم أحد اللسانين....[و] كلّ من عرف النّعمة في بيان اللسان، كان بفضل النّعمة في بيان القلم أعرف»[5]، وقيل لبعضهم: إن فلانا لا يكتب، فقال: تلك الزّمانة الخفيّة[6].

المحور الثاني: الكتابة: أخلاق، ضوابط ومراحل

أولا: أخلاقيات الكاتب (بوصلة الكاتب).

١-الصدق والإخلاص: بمعنى أن تكون مخلصا لوجه الله، مؤمنا بما

١ مجاني الأدب في حدائق العرب، رزق الله بن عبد المسيح بن يعقوب شيخو، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، ط١٩١٣،١م،ج١، ص١٠.

٢ قصة الحضارة في سومر وبابل، إيج إي إيل ملرش، ترجمة عطا بكري، ص ٣٨.

٣ أدب الكتاب للصولي، أبو بكر محمد بن يحيى الصولي(ت٣٣٥هـ)، المطبعة السلفية-مصر، ط١٣٤١هـ، ص٢٨.

٤ مقدمة ابن خلدون، عبد الرحمن بن خلدون(ت٨٠٨هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط٨ سنة٢٠٠٣، ص٣٢٨-٣٢٩.

٥ الحيوان، أبو عثمان الشهير بالجاحظ، دار الكتب العلمية -بيروت، ج ١،ص ٣٤.

٦ عيون الأخبار، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، دار الكتب العلمية-بيروت، ط١٤١٨هـ، ج١،ص ١٠٧.

تكتبه، نابعا من قلبك وفكرك، قال بعضهم واصفا القلم» المخاطب للعيون بسرائر القلوب على لغات مختلفة... لقاحها التفكر، ونتاجها التدبر»[٧].

٢-الرفق بالمخاطب على مستوى العبارات والأسلوب، يقول النبي صلى الله عليه وسلم «يَا عَائِشَةُ إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ وَيُعْطِي عَلَى الرِّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ وَمَا لَا يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ»[٨].

٣-عمق الفكرة والقضية وطريقة التناول للموضوع، احتراما لذكاء مخاطبك.

٤-وضوح المبدأ والالتزام به. قال تعالى:» قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ»[٩]، فمن جملة المبادئ التي يجب أن تكون موجهة للكاتب فيما يكتبه، مقاومة الظلم ومناصرة المظلوم، والدفاع عن أصحاب الحقوق...فالكتابة نعمة وشكرها استعمالها فيما يرضي الله تعالى.

٥-الأمانة في النقل والموضوعية في التناول، وعدم المحاباة والانحياز.

وختاما فالعاقل إنما يكتب بقلمه ما ينفع ولا يضر، فهو لا يسجل لغو الحديث، ولا العمل الخسيس، ولا يكتسب به المآثم، ولا يستحل به المحارم، ولا يسجل به ما يوقع في المعاصي، ويحرض على الملاهي، ويرغب في الشقاء، ويجلب الفتنة، ويتسبب في الأذى، ويدعو إلى ظلم العباد، فما أحسن القلم الذي يقتصر في كتابته على الكلام الجميل، وما يدعو إلى طاعة الملك الجليل[١٠].

ثانيا: الضوابط العامة(الكتابة بحث عن الذات)

أسئلة لا بد من الإجابة عنها لمن يريد اقتحام عالم الكتابة بشكل عام:

١- من أنا الذي أكتب؟ لا بد للكاتب أن يدرك ذاته جيدا من حيث، قيمه التي يؤمن بها ويريد نشرها وترسيخها في المجتمع، هويته، مقومات حضارته، ثقافته، تاريخه، فكره. فالكتابة ترجمة لكل ما تقدم ذكره.

٢- لماذا أكتب؟ ينبغي لمن يكتب أن تكون له رسالة يريد تبليغها، وهدف يقصد تحقيقه، وإلا كان عمله نوعا من العبث، وأفعال العقلاء منزهة عن العبث.

٣- لمن أكتب؟ معرفة المخاطب مفتاح النجاح في أداء الرسالة وتحقيق الهدف من الكتابة.

٤- ما الجديد الذي سأقدمه؟ وهذا رهين بالقراءة والبحث في الموضوع الذي أريد الكتابة فيه، فإن وجدت في الموضوع جديدا أو زاوية تناول أخرى، كتبت فيه وإلا كان عملي مجرد تكرار لأعمال الآخرين ولو بأسلوب مغاير.

٥- ما نوع الكتابة التي أجيدها؟ فلكل نوع خصائصه ومميزاته وقواعده وأدبياته التي يجب احترامها.

٦- هل أنا أصيل فيما أكتب أم متطفل على تخصص غيري؟ بمعنى أن تكتب في تخصصك الذي تجيده. قيل قديما «من تكلم في غير فنه أتى بالعجائب».

---

٧ العقد الفريد، ابن عبد ربه الأندلسي، دار الكتب العلمية-بيروت،ط١-١٤٠٤هـ،ج٤، ص٢٧٣.

٨ صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والأدب، باب فضل الرفق.

٩ سورة القصص الآية١٧.

١٠ صيد الأفكار في الأدب والأخلاق والحكم والأمثال، حسين بن محمد المهدي، وزارة الثقافة، ط٢٠٠٩، ج١، ص١١٢.

٧- هل حددت مدة للإنجاز؟ لأن الفشل في كثير من الأحيان لا يكون بسبب نقص في القدرات ولكن بسبب نقص في الالتزام كما يقول زيج زيجلار[١١].

ثالثا: مراحل الكتابة[١٢]

١-المرحلة الأولى: معرفة القراء لتحديد طبيعة اللغة والأسلوب الذي ستوظفه في الكتابة.

٢-المرحة الثانية: اختيار اتجاه الموضوع.

٣-المرحلة الثالثة: تدوين الأنباء بالطريقة السليمة مع حرية الاختيار بالترتيب ثم القيام بتهيئ العرض بطريقة مخالفة لكتابة موضوع إنشائي.

٤-المرحلة الرابعة: الشروع في الكتابة.

٥-المرحلة الخامسة: «لباس الموضوع» وهو البحث عن عنوان للمقالة مخالف ومتميز عن العناوين الفرعية.

٦-المرحلة السادسة: قراءة الموضوع لتحسينه وتجويده.

٧-المرحلة السابعة: النشر وتتبع رد الفعل للتحسين والتجويد.

الخاتمة: نتائج وتوصيات

١-جودة الكتابة مرتبطة بكثرة المطالعة.

٢-نجاح الكتابة مرتبط بتخصصك في المجال الذي تكتب فيه.

٣- التدرب، الصبر، عدم اليأس، قوة الإرادة وتكرار المحاولة بداية الطريق إلى الكتابة.

٤- احترام جمهورك لك مرتبط بعمق الفكرة وموضوعية التناول والتحليل.

٥- الكتابة تعبر عن وجهة رأي صاحبها « عقول الرجال تحت أسنة أقلامها»[١٣]

---

١١ المفاتيح العشرة للنجاح، د.إبراهيم الفقي، سما للنشر والتوزيع، ط١-٢٠٠٩، ص١١٩.

١٢ للتوسع في هذه المراحل يرجى الرجوع إلى كتاب: الصحافة علم واختصاص، عبد النبي الجحوة، مطبعة الهداية -تطوان.

١٣ التمثيل والمحاضرة، الثعالبي(ت٤٢٩هـ)، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو، الدار العربية للكتاب، ط٢-١٩٨١، ص١٥٥.

ورشة السمعي البصري

قيم: السلم - الرحمة - التعاون

يطلق البعض على الإعلام اسم «السلطة الرابعة»، نظرا للدور الكبير المؤثر والخطير الذي يقوم به في حياة الأفراد والمجتمعات والأمم، والحكومات والأنظمة وسائر المؤسسات الرسمية وغير الرسمية. فهو يسهم في تشكيل الوعي، وتوجيه الرأي، وتبليغ الأخبار والمعلومات، ونقل الأفكار والاتجاهات، إلى المشاهد والمستمع والمتابع. الأمر الذي يجعل منه طرفا مهما في صناعة القرارات الحاسمة وإحداث التحولات السياسية، الاقتصادية، الاجتماعية، الثقافية، التربوية والتعليمية الكبرى في العالم بأسره.

ويأتي المنتوج السمعي البصري في مقدمة المنتوجات الإعلامية الأكثر تأثيرا وخطورة لأنه يخاطب شرائح كبيرة جدا من الناس، وفئات مختلفة بأساليب متنوعة، تستطيع إثارة الانتباه، وجذب المخاطب، والتأثير فيه نفسيا وعاطفيا، وتوجيه وتأطير فكره وممارسته، وبناء وعيه وتشكيل ثقافته على مستوى الأكل والشرب واللباس ونمط العيش وأسلوب الحديث والتواصل والتعامل، وربط العلاقات ومد الجسور...حتى أن الطفل لم يعد بمعزل عن تأثير المنتوج السمعي البصري بل أصبح في مقدمة المخاطبين.

لأهمية وأثر المنتوج الإعلامي السمعي البصري على المجتمع ارتأيت تقسيم الحديث عنه في هذا العرض الموجز إلى أربعة مباحث وخاتمة.

المحور الأول: المنتوج السمعي البصري ضوابط التأثير ووسائل التطوير.

المحور الثاني: المنتوج السمعي البصري: الخصائص، المقومات المهارات.

المحور الثالث: المنتج السمع البصري الأنواع وضوابط استخدام المنصات والوسائط

المحور الرابع: خصائص محتوى السلم والرحمة والتعاون.

خاتمة: تتضمن أهم النتائج والتوصيات

والله أسأل التوفيق والسداد في القول والعمل

المحور الأول: المنتوج السمعي البصري ضوابط التأثير ووسائل التطوير

أولا: ضوابط التأثير

لا بد من الإشارة في بداية الحديث عن هذه النقطة إلى أن الصوت –الكلام-معجزة عظيمة مؤثرة جدا في روح وفكر المتلقي خاصة عندما تلامس قلبه وعقله، والمتأمل إلى حال الناس مع القرآن زمن النبوة وبعده يدرك أن القرآن «معجزة صوتية» كان لها الأثر البالغ في نفوس أشد المشركين عداء للإسلام والمسلمين، يقول الوليد بن المغيرة:» والله إن لقوله لحلاوة وإن أصله لعذق، وإن فرعه لجناة»[1]. وكلامه هذا لا يختلف عن قول عتبة بن ربيعة عندما ذهب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليفاوضه فأسمعه النبي عليه السلام آيات من القرآن فرجع إلى أصحابه بغير الوجه الذي ذهب به ثم قال لهم: «قد سمعت قولا والله ما سمعت مثله قط»[2].

بالكلام يستطيع الإنسان أن يترجم الأفكار والمشاعر والأحاسيس، ويؤثر في الآخرين بشكل بالغ، ويزداد التأثير ويكون مذهلا عندما ترافق الصورة الصوت، لأن الصورة كما يقال بألف كلمة.

ونظرا لأهمية المنتوج السمعي البصري وآثاره يحرص كل من يحمل مشروعا إلى الاستفادة منه وتوظيفه في الترويج لأفكاره ومشاريعه وآرائه... لهذا ينبغي التفاعل مع الثورة الإعلامية بشكل إيجابي حتى لا نترك الفراغ لغيرنا، ليلعب بالأجيال المقبلة من خلال توجيه فكرهم وسلوكهم في الاتجاه الذي يريد...

وليكون منتوجنا السمعي البصري مؤثرا في المتلقي يجب أن يلتزم جملة من الضوابط منها:

---

١ السيرة النبوية، ابن هشام(ت٢١٨هـ)، تحقيق سعيد محمد اللحام،دار الفكر، ج١، ص٢٠٩.

٢ السيرة النبوية، ابن هشام، المرجع السابق، ج١، ص٢٢٦.

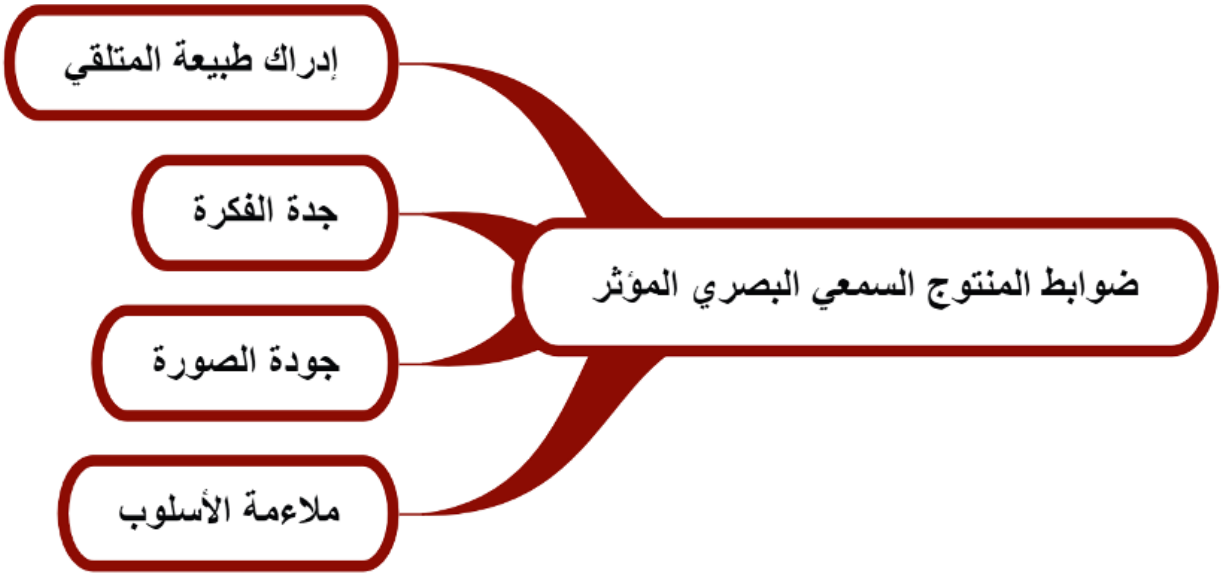

ثانيا: وسائل تطوير المنتوج السمعي البصري

المنتوج الإنساني دائما في حاجة إلى التطوير والتجديد والإبداع ليستطيع المقاومة والمنافسة والاستمرار، ويزداد الأمر إلحاحا ويتأكد عندما يتعلق التطوير بالمنتوج السمعي البصري الذي يشهد منافسة شرسة وتطورا مذهلا، ومن الوسائل المعينة على تطويره وتحسينه وتجويده نذكر:

المحور الثاني: المنتوج السمعي البصري: الخصائص، المقومات والمهارات

أولا: الخصائص

للمنتوج السمعي البصري مجموعة من الخصائص والمميزات نذكر منها:

* سرعة الانتشار.

*تجاوز الحدود المكانية.

*استمرار التأثير على المستوى الزمني والنفسي والوجداني والفكري.

*وضوح الفكرة ويحتاج ذلك لأمرين.

الأمر الأول: تخطيط دقيق للاستحواذ على مشاهدك في الثواني الأولى.

الأمر الثاني: تقييم لحظة الانطباع الأولي عند المتلقي حتى لا تفقده

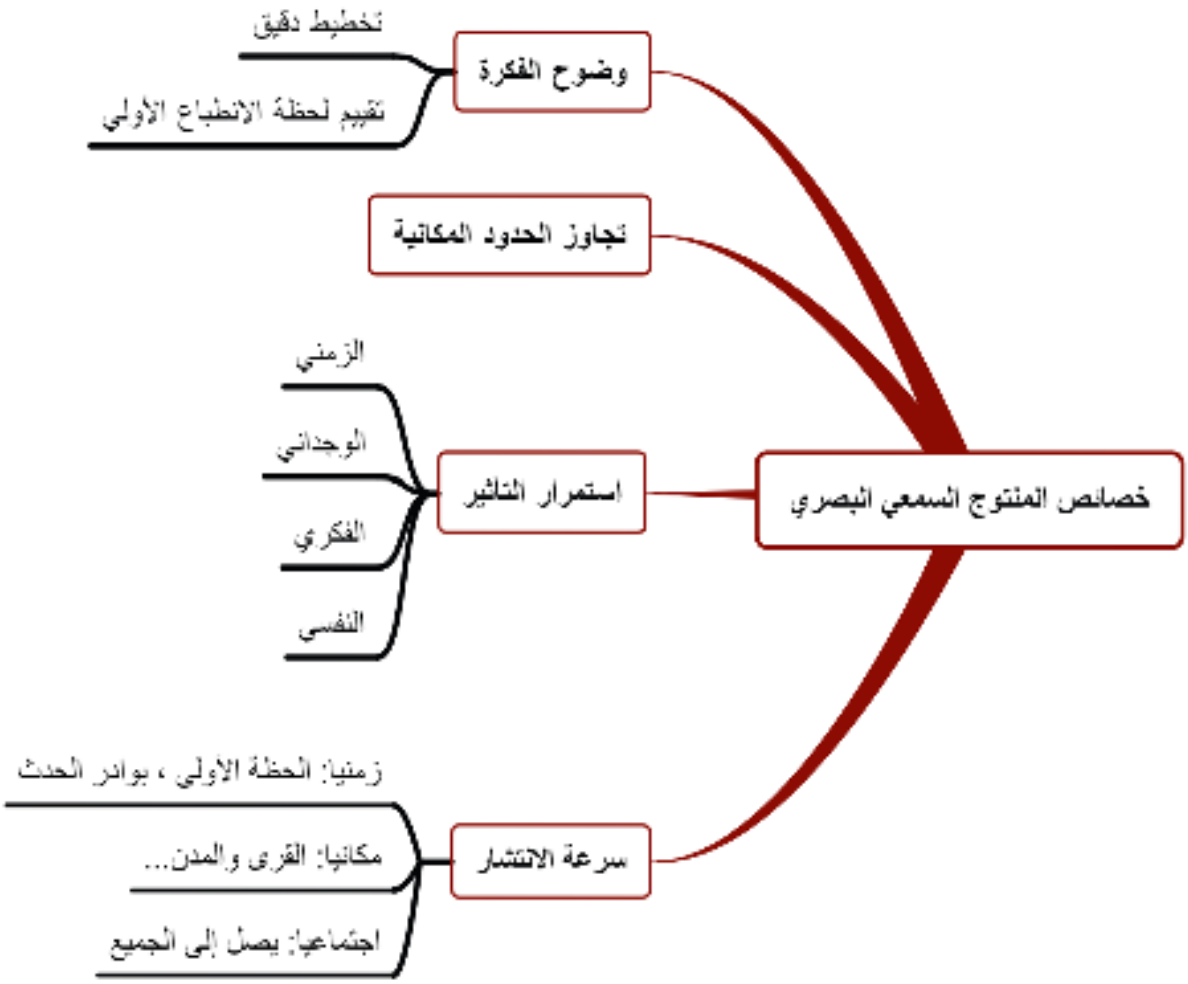

ثانيا: المهارات والمقومات

ليحقق المنتوج السمعي البصري غايته المرجوة لا بد من توفره على مجموعة من المقومات والمهارات منها:

*الإتقان على مستوى الصوت والصورة: شرط لكسب احترام الجمهور، وإلا كانت الرسالة ارتجالية وعشوائية، والاتقان رهين بالإعداد القبلي...

*مخاطبة الناس بلغتهم قال تعالى:» وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ»[1].

*الانطلاق من واقع المخاطب.

*التدرب على المهارات لتجاوز الصعوبات.

*عرض منتوجك على مجموعات صغيرة، تقدم لك تقييما صادقا لمنتوجك.

*الاستعانة بمحترف فيما لا تحسنه، فلا تحاول أن تكلف نفسك إتقان كل شيء، خاصة في المجال التقني، أما التخصص العلمي الذي تقدمه فينبغي أن تتقنه.

*التحقق والتأكد من الصحة قبل النشر ويشمل ذلك الصورة والصوت...

*ما تنشره يعبر عن موافقتك وتأييدك، وإلا احتاج الأمر منك إلى توضيح وتوجيه وتعليق لرفع اللبس الذي قد يقع لجمهورك، إما أن تخبرهم بأن ما نشرته يعتبر من باب الخبر أو التحذير...

*عدم التساهل مع جودة ما تنشره بحجة أنه لغيرك فهذا يؤثر على صورتك واختياراتك.

*مراعاة الاختلافات والانحيازات بين جمهورك ومتابعيك فلا تكسر قلبا، ولا تثر خلافا لا طائل منه، بل تلطف وأحسن الظن بتعليقات متابعيك، فمنهم من يريد النقاش البناء، ومنهم من لم يفهم فكرتك، ومنهم من يختبر أخلاقك...

١ سورة إبراهيم، الآية٤.

*الموضوعية: صدق تصوير الواقع وبيان مختلف الأوجه على حقيقتها، ودقة استخدام الألفاظ حتى لا توهم السامع-أو القارء-بغير الحق، والموضوعية معناها الالتزام بحقائق الموضوع فلا تخرج عنه إلى مواضيع جانبية أو لا علاقة لها بالموضوع أو أن ينحرف التناول للموضوع عن الروح العلمية لجانب القضية، الموضوعية انحياز للحق وحياد في النقل[٢].

٢ الإعلام الإسلامي رسالة وهدف، كتاب شهري يصدر عن رابطة العالم الإسلامي، سمير بن جميل راضي،١٤١٧هـ، العدد ١٧٢.

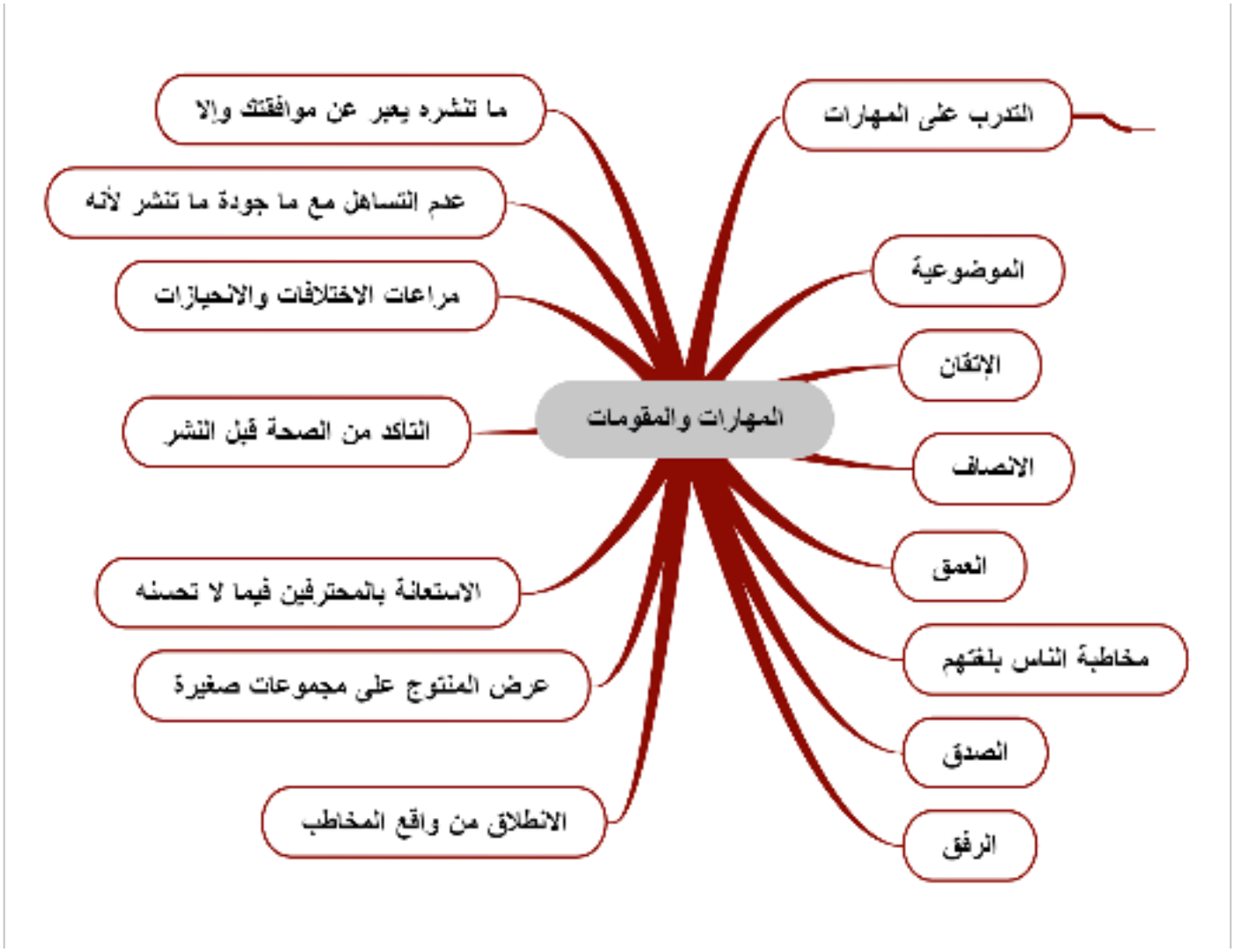

المحور الثالث: المنتوج السمع البصري: الأنواع وضوابط استخدام المنصات والوسائط

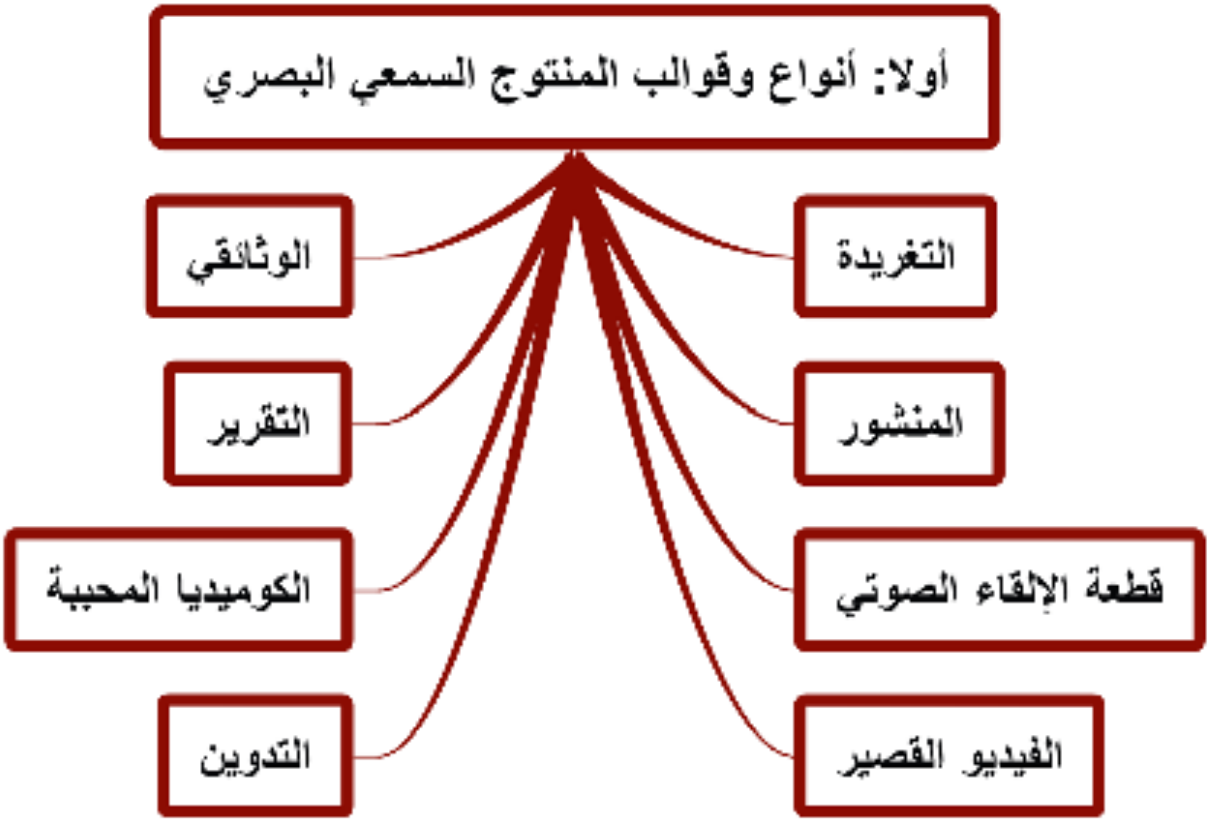

تنبيه مهم: إن نجاح استخدام هذه الأنواع مرتبط بطبيعة الجمهور الذي تخاطبه.

ثانيا: استخدام المنصات والوسائط: نصائح وضوابط

١-النصائح:

* المبادرة والإسراع إلى فهم خصائص كل المنصات، لأن أدوات كل منصة مختلفة عن الأخرى وتتطور وتتجدد وتتنافس...لهذا ينبغي للمهتم بالسمعي البصري ألا يتأخر عن التعرف على خصائص هذه المنصات، وفهم طبيعتها وطريقة اشتغالها.

*عدم التأثر برداءة ما يعرض على بعض المنصات، وتجنب الانطباعات السلبية، والأحكام المسبقة، فالمجال مفتوح للجميع للمنافسة بالمحتويات الهادفة... المنصات الإعلامية ميدان لا يقبل الفراغ فإما أن تملأه بالخير أو يملؤه غيرك بالشر.

ثانيا: ضوابط الاستخدام والتفاعل

١-ضوابط التعامل مع اليوتوب:

*اهتم بالمنتج الأصلي. * قصر وقت الفيديو. * صندوق الوصف مفتاح التعريف بمحتواك. * الشراكات مع المؤثرين.
*أسس قناتك الخاصة وإن كنت قليل الإنتاج...

٢-ضوابط التعامل مع البث المباشر:

*اهتم بجودة الانترنيت. * تخير المكان المعبر والأفضل. *تفاعل مع جمهورك على مدار البث. * اهتم بالتجهيزات الأساسية.
*لا تكن خطيبا وكن متفاعلا.

خريطة ناظمة للضوابط:

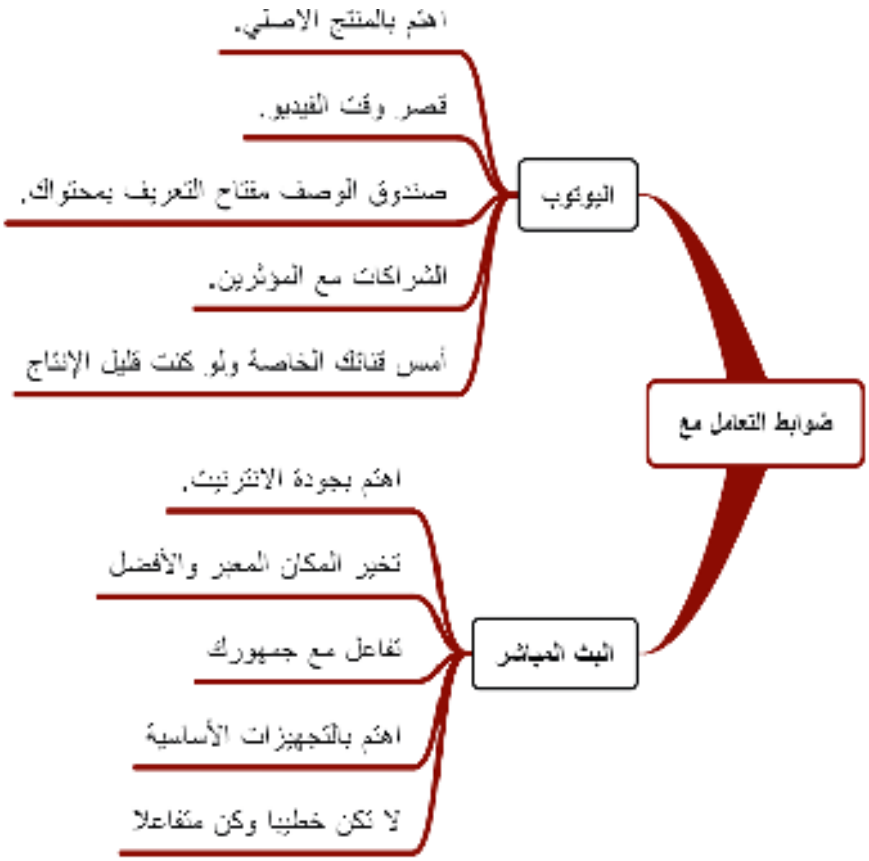

المحور الرابع: المنتوج السمعي البصري خصائص محتوى السلم والرحمة والتعاون.

*التأثير ومخاطبة المشاعر والعاطفة بعيدا عن الخطابة الجافة، لأن المواضيع الإنسانية تنطلق من الانفعالات العاطفية ثم توجه بميزان الحكمة.

*الإنسانية الواقعية بعيدا عن الأفكار المجردة والمثالية.

*الإقناع العقلي عن طريق التفاعل مع القضايا المحلية.

*إبراز القدوات بمشاريع ومبادرات ورؤى من عمق تخصصك.

*التركيز على فضح أعداء القيم النبيلة بمحتوى جذاب.

الخاتمة: النتائج والتوصيات

١-النتائج

*-معرفتك بطبيعة جمهورك واحتياجاتهم مفتاح نجاح إنتاجك السمعي البصري.

*-الجمع بين الصورة والصوت يكون له تأثيرا مذهلا في المتلقي.

*-التفاهة تفرض ولا تعبر عن ثقافة المجتمع.

*-إعلام التفاهة والرداءة لا يواجه إلا بالإعلام الهادف.

*-الوسائط والمنصات مجال لا يقبل الفراغ إن لم تملأه بالخير ملأه غيرك بالشر.

٢-التوصيات

*-الدعوة إلى استخدام الحملات والهشتاج لأنها الأكثر تأثير.

*-الدعوة إلى استخدام منتجات السمعي البصري في ترسيخ القيم والمبادئ.

*-الدعوة إلى اغتنام الأحداث للتعريف بالقيم والإشادة بالمبادرات الإيجابية في هذا المجال.

*-الدعوة إلى التأكد والتحقق من الصحة قبل النشر.

*-الدعوة إلى فضح أعداء القيم النبيلة بمنتجات جذابة ترسخ القيم وتشيد بالفضيلة داخل المجتمع.

ورشة الفن

كيف ننشر بالفن أخلاق السلم والرحمة والتعاون؟

(كانت هذه الورشة عبارة عن مقابلة حوارية مع الفنان)

الفنان يحيى حوى . سوريا

فنـان

الحديث عن الفن، حديث ممتع و جميل من عدة جوانب لأنه حديث عن شيء تهواه النفوس، وذلك من طبيعة النفس البشرية أنها تهوى الفن و الجمال، والفن كله جمال، و يزداد هذا الأخير كلما حمل القيم الإيجابية، وهنا تكمن أهيمته، فالفن عبارة عن قوة ناعمة تستطيع أن تصل بها إلى كل القلوب أو الأماكن أو على الأقل أغلبها، التي لا يمكن أن تصل لها بسبل أخرى، فهذه القوة الناعمة يمكنك تحميلها مجموعة من الرسائل و القيم الإيجابية كما يمكنه فعل العكس.

فكما نشاهد على الساحة اليوم العديد من أهل الفن غاب عنهم حمل الرسالة، فأصبحوا يشتغلون بالريموت و تحت الطلب، يغنون للطغاة و الجبارين.

فمحاربة هذه النوعية، يجب أن تقابل بأعماله فنية، فالفن يحارب بالفن، وحديثي هنا عن الفن بكل أنواعه، فاليوم و مع الانتشار الهائل للمنصات التي تسوق الأفلام و المسلسلات التي تنشر الرذيلة في العالم أجمع، وهذه لا يجدي مقابلة منتوجاتها بالخطب الجمعية، أو المقالات و غيرها، و لكن تقابل فنيا.

«فالفن يحارب بالفن، والكلمة تقابل بالكلمة»، للإشارة فالفنان الرسالي على ندرته يعاني أيضا من ضعف الدعم الموجه، ولكن ليس هذا مبرر للاستسلام و ترك الساحة و التوقف.

لهذا أرى أن كل من عنده موهبة ويستطيع تقديم أي شيء للمجال الفني من الواجب عليه السعي في ذلك؛ لأن ما لا يستطيعه فلان قد يجيده فلان و هكذا.

فجمال الصوت، تغير النبرات و اللغات و الموسيقى، إذ أخفق في موطن قد تنجح في مكان آخر، وأعيد التذكير أن الفن مجال واسع يدخل فيه، الغناء و المسرح والقصة والكاريكتر والرسم و غيره و الفيلم القصير والوثائقي، وقد برزت مؤخرا عدة تجارب للفيلم القصير و الوثائقي يمكن تطويرها لأفلام سينمائية، والسينما بالذات لها تأثير كبير و يمتد لسنوات، فمثلا فيلم الرسالة شخصيا شاهدته منذ أزيد من ثلاثين سنة، و لا زال له نفس التأثير، مما جعلني أرشحه لأبنائي الذين بدورهم ألمح تفاعلهم معه، إضافة لأثر هذا الفيلم و الصورة الإيجابية التي تركها في نفوس الناس،حتى كان سببا في إسلام العديد.

هذا من ناحية، أما ما يخص الغناء باعتباره مجال اشتغالي، فكثير من الأعمال الفنية القيمية، ولا نقصد بالكثرة مقارنة مع غيرها، ولكن الكثرة مقارنة مع السابق، والحمد لله، بدأنا نجد لها تواجدا على المنصات العالمية، و نشير لبعض النماذج التي ظهرت مؤخرا:

- الفنان محمود الخضر و أغنيته كن أنت، التي تدعو للثقة بالنفس و عدم التقليد، و كلنا يدرك أهمية هذه القيمة في حياة الشباب خصوصا مع انتشار ظاهرة المؤثرين، و تعلق الشباب بهم و محاولة تقليدهم و السعي في ذلك لينتهي كالغراب في

المثل الشعبي الذي حاول تقليد طريقة مشي الحمام، فضاعت منه طريقته.

· نجد أيضا أنشودة الفنان عبد القادر قوزة، التي تتغنى بالقيم وعنونها بحياتي بالقيم أحلى.

· أغنية كن جميلا و ابتسم، التي تحث على الإبتسام، ومن جهتي أحاول قدر المستطاع التركيز على هذه القيم و غيرها في أعمالي الفنية.

نتطرق الآن لبعض النصائح التي نوجهها للشباب المبتدئ في المجال الفني:

· أولا: لا يمكن سلوك طريق الفن و الغناء إلا مع أربابه، أقصد العاملين بمجال الغناء و الموسيقى، رغم الاعتراضات عن هذه الأخيرة من قبل البعض، و لكن نغتنم الفرصة للقول أن تعلمها بأصولها و أساسياتها الصحيحة، تمكن من نقل ما يقدمه إلى مستوى العالمية و لا يظل إبداعه حبيس دائرته المقربة –أسرته و أصدقاءه-،فالموسيقى لغة عالمية، إذا أتقنها يمكنه الوصول إلى هذا المستوى، لهذا دوما أوجه كل من يتصل بي سواء من الآباء الكبير الترمذي، هذه الدورات تساهم في صقل الشخص علميا، وتوجهه ليضع قدمه فنيا على الطريق الصحيح و تمكنه كذلك من معرفة الكيفية التي يرسم بها مساره بناء على قدراته الصوتية، لأن هذه الأخيرة تصنع الفارق، فباكتشافه الطبقة الصوتية الخاصة به، يستطيع، أن يتميز، وهذا لا يتأتى له إلا بمجالسة أرباب الصنعة.

· ثانيا: أن تضع لنفسك منافسين، فالمنافسة الشريفة بمثابة وقود ذاتي للفنان، فعندما يبدع صديقي أغبطه و أطور عملي.

· ثالثا: فشل البدايات لا ينبغي أن يصيبك بالإحباط، فمن بين القصص التي عشتها،أن شابا زارني منذ سبع سنوات بالبيت، وكان يشكو من أنه يعمل و يعمل لكنه لا يبرح مكانه، وهنا ذكرته له نقطة تهمه و تهم غيره، أن بوقت ظهورنا لم تكن السوشيال ميديا، التي انتشرت الآن، والتي يمكن الاستفادة منها عبر نشر المقاطع عليها بشكل دوري، فالمقطع الأول قد لا ينجح ثم الثاني أيضا، و لكن قد ينجح العاشر أو العشرون، فنحن مأمورون بالعمل فقط، والنتائج بيد الله، فمداومة العمل على سوشيال

و الأمهات،و عنده ابن له صوت جميل إلى ضرورة أخذه لمعهد موسيقي أو عند أحد الفنانين، فمثلا في الأردن نعرف الفنان أيمن رمضان يقوم بدورات فنية من فترة لأخرى وهي دورات مختصة رائعة تساهم في التثقيف الفني والموسيقي وبالذات للشباب المبتدئين وكان سابقا يقوم بهذه الدورات الأستاذ مديا و تنزيل المقاطع، التي بنجاح واحد منها كفيل بتعرف الناس على أعمالك، ولحسن حظه أنه كتب له النجاح قبل المقطع العاشر، والآن له أكثر من خمسين مقطعا، ومقاطعه لقت قبولا واسعا، لهذا عندما تفشل لا تيأس....،بل تقدم، و اجعل الفشل حافزا لك و تذكر أنك مأمور بالعمل فقط.

· رابعا: الفن كلما كان بسيطا، و واضحا تقبلته النفس البشرية، فحاول دوما أن تبتعد عن التعقيد.

كنا في جلسة مع مجموعة طيبة من الفنانين الشباب، فطلبنا من أحدهم أن ينشد لنا، فأنشد مقطعا صوفيا من المقاطع و المواويل القديمة، والمقطع مركب ومعقد، فلما فرغ وجه له الحاضرون مفادها أن المقطع لم يصلهم، لذلك نصيحتي أن تراعي جمهورك، فأنت لا تغن و تنشد للأجيال التي تكبرك بالسن فقط، وإنما لجيل الشباب من حولك، فعش زمنك، و قدم عملا واضحا يصل للشباب، مع مراعاة أن تحمل أعمالك القيم النبيلة، لتصير سفيرا للمكارم، ونصيحتي الأخيرة أخلص النية لله تعالى، فكل ما ذكر سابقا لا يعد شيئا إذ حرم العبد التوفيق، والتوفيق يأتي بالإخلاص و العمل، ومن لزم الباب لم يحرم الجواب.

و الله ولي التوفيق

ICVCC
International Centre Of Human Values & Cultural Cooperation
المركز الدولي للقيم الانسانية والتعاون الحضاري